٩



شرلوك هولمز

رصاصة في الظلام





رصاصة فى الظلام

تاليف : الفريد هتشكوك
ترجمة : محمد عبد المنعم جلال

المركز العربى للنشر والتوزيع
معروف اخوان

الأسكندريه ت : ٨١٠٨٢٨
القاهرة ت : ٧٤٣٦١١

رصاصة فى الظلام
بقلم افرام دافيدسون

يملك جيمس كالفن (جيسى) ويليام متجرا لبيع البقالة بالجملة والقطاعى ، كما يملك محلجين للقطن ومكتب توكيل سيارات والفندق الوحيد بالبلدة ومخزن الدقيق الواقع بجوار السكة الحديد وعددا آخر من المحلات التجارية وبعض البيوت ، ومع ذلك فمن الخطأ أن نقفز الى النتائج ونقول انه يملك المدينة كلها ، فإن المدينة ملك للشعب الذى يعيش فيها ، وهو شعب حر أبى . وقد انتخب الأهالى جيمس ويليام كالفن عمدة لهم مرارا كثيرة ، وفى نيتهم أن ينتخبوه لكى يكون عضوا فى مجلس الشيوخ ، لا لأنهم يعملون تحت امرته ، ولكن لأنهم جميعا يحبونه ويجلونه . وليس بينهم من يحسده على نجاحه ، فإنه كان يستحق ذلك ، وهم يعرفون ذلك كل المعرفة ، لأنه كد وكدح واكتسب احترام الجميع بجده ونشاطه .

ويقع بيت مستر ويليام على مسافة قليلة من مكتبه . وهو متزوج وأب لبنتين ، ويقوم على خدمته طاه ممتاز ، ويسرهم جميعا أن يعدوا له فنجانا من القهوة فى الضحى ، ولكنه على الرغم من ذلك يؤثر أن يعبر الطريق الى مقهى توربيفول ، وأن يرشف قهوته هناك . وقد توقف بعتبة المقهى فى ذلك اليوم وراح يتحدث مع

صاحبها ، وحين أخذ مجلسه أخيرا فوق المقعد المرتفع الذى أمام البار صب له الساقى قهوته فتذوقها فى حذر ، ولكنه لم يلبث أن وجدها كما يشتهيها ويحبها وقال يخاطب الساقى : - أرى أنهم حدثوك عن ذوقى .

أجاب الرجل وهو يبتسم:نعم يا مستر جيزى أنهم حدثونى عنه.

وكان له وجه أحمر وابتسامة متعبة . وأقبل رجل نحيف له وجه شرس وشعر أشيب فجلس بجوار ويليام قائلا : - هل استقر رأيك يا جيسى ؟ ..... ماذا تريد أن تكون ؟ .... الشيخ ويليام ، عضو مجلس الشيوخ أم القاضى ويليام ؟ .

كان ذلك الرجل هو الشريف توم هويلر ، وهو رجل دمث الأخلاق حسن المعشر ، وان كان ثرثارا كثير الحديث . وأجاب ويليام وهو يحتسى قهوته : - ستكون أنت أول من يعرف ، ولكن هناك شئ يهمنى أكثر من غيره ، وهو أننى لا أميل الى الاقامة فى العاصمة فأننى ريفى قح .

طلب الشريف كوبا من اللبن وفطيرة وقال :- وفيم يضيرك هذا ؟...ان أعضاء مجلس الشيوخ لا يجتمعون إلا مرة كل سنتين .

وتناقشا فى الأمر وهما يشربان ويأكلان .

وتوقف ويليام بالباب ، وقال يخاطب هويلر وتوربيفول : - من هذا الساقى الجديد ؟ .... يخيل لى أننى رأيته قبل اليوم .

هز كل منهما رأسه . وفى الناحية الأخرى من البار راح الساقى يقطع قطعة من الجبن وهو يغنى قائلا :

(عين المولى تراك فى علاه   وترى ما أنت فاعل)

ابتسم الرجال الثلاثة ، ومسح توربيفول ذقنه الضخمة وقال : أنه رجل ساذج ، ولكنه يقوم بعمله كما ينبغي وهو يدعى جيمى .... أتاني به الواعظ أمس .

هز ويليام رأسه ومضى في طريقة وهو لا يزال يخامره احساس بأنه سبق أن رأى الرجل .

لم يكن مستر جيسى من أهالي مدينة كالهون ، فقد أقبل الى البلدة منذ نحو ثلاثين عاما وفى جيبه خمسة آلاف دولار ، واشترى مزرعة صغيرة وجرارا . وكان المزارعون لا يزالون يستخدمون البغال والثيران ، فلما رأوا نجاح ويليام جيسى فى مزرعته اقتنعوا كلهم باستخدام الجرار .

ولم يعرف أحد عن ماضيه شيئا ، ولم يتكلم هو إلا فيما ندر ، وكان كل ما عرفه الأهالي عنه هو انه نشأ في مزرعه ، وأنه اشترك فى الحرب العالمية الأولى . وانها انتهت قبل ان يدلى فيها بدلوه . ومات له أخ منذ سنوات عدة وسافر للاشتراك فى جنازته ، ولم يغادر المدينة بعد ذلك إلا فيما ندر .

وفى كل صباح . عندما يجلس فى المقهى لاحتساء قهوته كان يخامره احساس عجيب إذ تنتعش ذاكرته وهو ينظر الى الساقى يمارس عمله وهو يغنى ، ويخيل اليه أنه سبق ان رأي هذا الوجه من قبل .

وابتسم جيمى ابتسامته المعروفة وهو يعد القهوة وقال : ان ابنتيك جميلتان يا مستر ويليام، وقد استقلتا الأوتوبيس الى (ثرى سبرنجز) صباح اليوم ، ولا ريب أنهما فخورتان بأن لهما أبا مثلك يرشحه الأهالي عنهم .

كانت نية جيسى قد استقرت على أن يكون قاضيا للمدينة ، ومهما يكن فإن اصدقاءه قالوا له وهم يداعبونه بأن هارى ترومان بدأ حياته قاضيا قبل ان يغدو عضوا فى مجلس الشيوخ ، وانه أصبح بعد ذلك رئيسا للولايات المتحدة كلها .

قال جيسى : – وأنا فخور بهما .

ومرة أخرى نظر الى السائق فاحصا فخفض هذا عينيه فى حياء . وسأله جيسى : – هل كنت تمارس الملاكمة يا جيمى ؟ .

ذلك ان وجه جيمى كان منتفخا ، تدل قسماته على انه تلقى الكثير من اللطمات فى حياته . وتنحنح جيمى ولكن الشريف تولى الرد عنه فقال : –

– ان العلامات التى على وجهه ليست من تأثير الملاكمة ، وإنما هى من تأثير ضرب حراس السجن له . اليس كذلك يا جيمى .

أومأ السائق وقد أكفهر وجهه وقال : ظننت أننى رجل شديد المراس فى تلك الأيام ولكنهم كانوا أشد منى مرأسا .

وضحك كما لو أن شخصا ما قد داعبه واستطرد الشريف يقول : –

– لقد عفا المحافظ ت . ا . أنستروزر عنه لمساهمته فى اطفاء الحريق الكبير الذى شب فى السجن ، وفى انقاذ ثلاثة من الحراس أغمى عليهم من جراء الدخان .

راح ويليام يهز رأسه وهو ينصت الى القصة ، وأخيرا خاطب جيمى قائلا :

– خيل لى أن وجهك مألوف لى ، ولا ريب أننى رأيته فى الصحف فى ذلك الوقت .

قال السجين السابق في غير اكتراث : - كنت شرسا في شبابي . ولعله كان في مقدوري أن استقيم وأن اتزوج وأن يكون لي أسرة كريمة الآن .... مثلك أنت يا مستر جيسي .

والتقت عيناهما ، واستطرد الساقي يقول وهو يخفض عينيه :

لو أنني تزوجت ووقعت في المشاكل بعد ذلك لخجل مني أولادي بالطبع . ولكن ليس هناك ما يحمل ابنتيك على أن تخجلا منك يا مستر جيسي .

وفي الخارج دفعه الفضول الى أن يسأل الشريف : - لماذا زج هذا الرجل في السجن ياتوم ؟ .... هل تعرف السبب ؟ .

فكر الشريف ثم قال : - لقد حاول الهرب ، وقد أطلعني هو على ذلك فضوعفت مدة سجنه . ولكن هل تعني لماذا ذهب الى السجن اصلا ؟ . اظن أنه أطلق الرصاص على شخص في حادث ما . أنك من مدينة كروكشانك ، أليس كذلك ؟ .

واستطرد يقول عندما أو مأ ويليام برأسه بالأيجاب :- حسنا ، لقد وقع هذا الحادث هناك .... في أوائل العشرينات واسمه بالكامل جيمس بكستون .... هل سمعت عنه ؟ .

لم تمنع ميز ليزي ، كما يدعو الجميع زوجة جيسي ، زوجها من الاحتفاظ بزجاجة من الخمر في بيته . وكانت تقول : - أنني لا أريده أن يشرب في الخفاء . ولكن لم يكن ذلك يعني ان زوجها يفرط في الشراب في البيت أو في أي مكان آخر . ولكن ميز ليزي كانت تميل الى المبالغة بعض الشئ . وفي تلك الليلة صب جيسي لنفسه كأسا من الويسكي مخلوطا بالماء قبل أن يمضي الى مخدعه بنصف ساعة وجلس يحتسيها في بطء .

مدينة كروكشانك !... كانت مدينة صغيرة فقيرة اقتطعت كل اخشابها ولم تزرع ثانية ... وقد حدث ذلك في وقت بعيد ... جيمس بكستون ... تتذكره ويليام ..... كان بكستون قد سرق مهايا بعض عمال التراحيل ، ولم تكن مبالغ جسيمة في مجملها ، وقد طارده الناس فأطلق النار وأصاب أحد مطارديه . اصابة غير قاتلة ثم اختفى . وراجت الاشاعات والأقاويل بعد ذلك فقيل أنه ترأس عصابة وانه ينوى السطو على البنوك المحلية والمحلات التجارية ، وقد اتضح ان كل هذه الاشاعات كاذبة ولكنها دفعت المسئولين الى ان يعلنوا عن خمسة آلاف دولار مكافأة للقبض عليه. واتفق ان كان الرجل الذى أخذ تلك المكافأة هو جيمس ك . ويليام.

افرغ جيسى كأسه ثم صب لنفسه كأسا أخرى مخلوطة هذه المرة بقليل من الماء.لقد مر على ذلك ثلاثون عاما لم يشر أحد أمامه الى قضية بكستون ابدا، ولم يعرف أحد عنها شيئا، فقد حدث ذلك فى مدينة أخرى نائية ولم يعرف انسان أن أصل ثروة جيمس ويليام هى تلك المكافأة التى حصل عليها ثمناللقبض على بكستون، ولكن هناك خطر الآن فى ان يعرف الجميع هذه القضية .

حاول جيسى أن يتذكر ملامح الرجل كما كانت منذ ثلاثين سنة ليقارن بينها وبين ملامح الساقى بمقهى توربيفول ، ولكن كل ما تسنى له ان يفعل هو أنه خيل له أنه رأى الرجل من قبل . متى بدأ يفكر فى جيمس بكستون آخر مرة . لم يستطع ان يتذكر ذلك أيضا فإن هذه القضية لم تلح على ذهنه ابدا أو تثقل على

ضميره ، فقد أخذ المبلغ وجاء الى كالهون ، وكد وكدح وتزوج وكون له أسرة . وكان منهمكا دائما بحيث لم يجد وقتا لكى يفكر فى الماضى .

ابنتاك .... لا ريب انهما فخورتان بأبيهما .. كانت هذه هى كلمات بكستون ... ليس هناك ما يحملهما على الخجل منك .

كان تعبير عينيه غريبا وهو ينطق بهذه الكلمات . واذ تذكر ويليام ذلك تملكه الخوف وسرت الرعدة فى بدنه .

ماذا فى ذهن بكستون ... ولماذا جاء الى هذه المدينة بالذات ؟

انه لم يأت اليها صدفة واتفاقا ، وهذا أمر أكيد . ماذا يدبر ؟ هل يريد أن يطالبه بمال .... أو هل يريد ممارسة التهديد تعويضا عن السنوات التى قضاها فى السجن ، وعن الضرب الذى لقيه ، والحياة القاسية التى عاناها خلف القضبان الحديدية السنين تلو السنين ؟ أو هل يفكر فى انتقام آخر بطريقة أخرى أكثر مباشرة .... طريقة عنيفة .... كأن يطلق رصاصة فى الظلام ... وسرت الرعشة فى بدنه مرة أخرى وتقلصت أصابعه حول الكأس .

ان بكستون تكلم عن ابنتيه ... تكلم عنهما مرتين ، فهل كان ذلك عمدا ؟ .... واذا كان الأمر كذلك فما الذى يستطيع جيسى أن يفعله ؟ .... هل يتحدث الى الشريف ويطلب منه حماية القانون .... ونهض واقفا ولكنه لم يلبث ان عاد فجلس على الفور .

انه ان تحدث الى الشريف فلابد ان يكشف له كل شئ . لم يكن بكستون مطلق السراح مؤقتا ، ولم يقطع على نفسه عهدا بالعودة الى سجنه ، ولكن المحافظ أصدر عنه عفوا تاما . ثم ان

الرجل لم يهدده بطريقة سافرة ، ولم ينتهك القانون ...... سيقول له الشريف فى استغراب (ولكننى لا أفهم يا جيسى .... لماذا يريد الرجل ان يؤذيك أو أن يؤذى ابنتيك) ولابد له أن يرد عليه عندئذ ويقول له (لأننى منذ ثلاثين سنة تحدثت مع شريف مدينة كروكشانك كما أتحدث معك الآن ، وقلت له أن جميس بكستون مختف فى حظيرة عمه . وقد ذهب الشريف مع ثلاثة من معاونيه والقوا القبض عليه بعد أن دارت معركة بينهم وبينه وحوكم بكستون وأدين ، وحصلت أنا على خمسة آلاف دولار أصبحت ملكى بحكم القانون .

اذا حدث الشريف بكل هذا فسوف يحصل على الحماية المطلوبة ، وسيزول خوفه ولكن ستنتهى حياته السياسية كذلك ... وستنتهى حياته كزعيم للبلد ، وذلك لأن جيسى يعرف القوم الذى يعيش بينهم . لن يتهمه أحد علانية ، ولن يسخر أحد منه أو يبصق فى وجهه ، ولكن لن يحييه أحد أو يبتسم له بعد ذلك أبدا ، ولن ينتخبوه بالطبع ، وأنه ليستطيع أن يسمعهم وهم يتحدثون ، كل منهم مع الآخر ويعرف ماذا يمكن أن يقولوا .

لو أنه ارتكب جريمة قتل أو قارف جريمة الزنا ، لغفروا له ، أما أن يخون الأمانة ويرشد عن صديق نظير مكافأة مالية فهذا مالا يمكن ان يغفروه له ابدا .

ولكن كل هذا تلاشى من ذهنه عندما رفع رأسه عن كأسه ونظر الى ساعة الحائط ونادى زوجته ، وكانت تذهب دائما فى مثل هذا الوقت من كل ليلة الى المطبخ ، وتعد لنفسها كوبا من اللبن الساخن ترشفه وهى تقرأ اصحاحها الليلى من الانجيل . قال : –

– ليز .... أين البنتان ؟ ... وكيف انهما لم تعودا حتى الآن ؟ .

نطقت بشئ لم يفهمه ثم جاءت الى الباب . وكانت قد ارتدت ثياب النوم وتجعد شعرها فى خصلات كثيرة وقالت : ..... ولن تنتهى قبل منتصف الليل .

القى كأسه فى عنف وقال : – ما هذا الذى لن ينتهى قبل منتصف الليل .

حملقت فيه وفتحت فمها عاتبة وهزت رأسها ثم قالت : – لا أدرى ماذا بك منذ أن عدت الى البيت يا جيسى ... بل انى أظن أنك لم تع كلمة واحدة مما قلت لك . حاول ان تركز ذهنك وسأخبرك بالأمر مرة أخرى . أنهما ذهبتا لحضور الحفلة السنوية التى تقيمها الكلية لجميع الطلبة والطالبات (وعبست واستطردت) ولا أدرى لماذا تنظر الى هكذا ، فليس هناك داع للقلق أو الجزع . ان الواعظ بويل ..

وعند كلمة الواعظ انطلق قطار من الخوف فى ذهن جيسى ، وحاول يائسا أن يعرف السبب ... لماذا أثار اسم الواعظ خوفه بهذه الصورة .

وراحت زوجته تقول وهى تنظر اليه فى حدة : – اعترض على ركوب الطالبات فى سيارات الطلبة وقال ان هذا ليس سليما ، بل انه مناف للآداب ، وانه قد يخطر لبعض الطلبة ان يختلوا بالفتيات فى مكان ما أو من يدرى . واتفق أخيرا على أن يذهبوا جميعا فى اوتوبيس المدرسة ، وقد سمعت أن بعض الفتية ساءهم ذلك ولكن . .

طار لب جيسى وأحس فجأة بأنه واثق من شئ بالذات وصاح فى ذعر : –

– رباه ... من الذى يقود الاوتوبيس ... ذلك انه كان يعرف ان سائق الأوتوبيس الأصلى يعمل عملا اضافيا من الساعة السادسة حتى منتصف الليل فى احدى المزارع .

سألته زوجته جازعة : – ما الخبر ؟ .

– من الذى يقود الأوتوبيس ؟ .هزت رأسها مشدوهة وبللت شفتيها : – أنه ذلك الرجل الأحمر الوجه .... ما اسمه ... لقد ذكر الواعظ اسمه ، ولكننى لا اتذكره ، وقال أنه يعمل فى مقهى توربيفول .... ان بوجهه آثارا متخلفة عن الضرب .

وقفوا فى مكتب الشريف يتبادلون النظرات فى صمت وقال الشريف للمرة العاشرة تقريبا : « اللعنة » .

وقال الواعظ ، وهو رجل واهن ذو عينين مكدودتين تنطقان بصراعه الطويل مع الشيطان :

– لا تقلق أيها الأخ ويليام ... وأنت أيضا أيتها الأخت ... اننى واثق أن الأخ بكستون مهما يكن ماضيه .....

تحول جيسى عنه ومضى الى النافذة واطل منها فى حين استطرد الواعظ يقول : –

– عنصر طيب ، وما كنت لاقلق لو أننى كنت مكانكما .

قالت ليز : وفوق ذلك فهما ليستا وحدهما وان يدعه كل هؤلاء الطلبة يقدم على شئ .

استدار زوجها اليها وقال : قد لا تواتيهم الفرصة لمنعه ... انه يستطيع (تقلصت أصابعه لمجرد الفكرة ولكنه راح يقول) ان ينطلق بالأوتوبيس الى مكان ناء بعيد عن الطريق العام أو ....

وأسرع الى زوجته فأخذها بين ذراعيه قائلا : – اوه .... فليفعل بى أنا ما يريد ولكن ليترك الفتاتين وشأنهما .

قال الواعظ يخاطب الشريف : – متى تظن ان معاونيك سيلحقان بالأتوبيس ؟ .

نظر الشريف الى ساعته وفتح فمه لكى يتكلم عندما صلصل جرس التليفون فتناول السماعة . ولم يلبث أن توتر وجهه وهو يصغى ، ونظر الى ويليام ثم أشاح بوجهه بعيدا ، وألقى سؤالا فى صوت خافت ثم قال : – اننى قادم فورا .

وتقدم الجميع الى الأمام . وامطروه بالأسئلة وهم يتبعونه فقال : – هلموا بنا الى السيارة .

ثم هز رأسه ودفعهم خارج المكتب قائلا : – سأذكر لكم ما أعرفه أثناء الطريق .

كانت ليلة مظلمة ، وكانت هناك عربات قليلة تنطلق فى الطريق ما بين لحظة وأخرى ، وانطلقت سيارة الشريف بأسرع ما يمكن .

سأله جيسى وقد هدأ الآن عما كان منذ لحظات : – هل قال فتاة أو فتيات ...

وبكت زوجته وهى معتمدة على كتفه .

أجابة الشريف توم هويلز : – يبدو أن الرجل تحدث عن فتاة معينة ، ولم أشأ أن أضيع الوقت فى السؤال . قال ان اوتوبيس المدرسة توقف على مقربة من محطة البنزين التى يملكها ، وان الطلبة والطالبات كانوا يصيحون ويصرخون ، وان فتاة أصيبت بطلق نارى ، وان السائق وبعض الفتية يتعاركون . هذا كل شئ .

اطلق الواعظ تنهيدة كبيرة وقال :مازلت لا أصدق أى سوء عنه.
قال ويليام دون أن يزاوله هدوءه :– أنني أعرف أنه جزائي .... جزائي على خطيئتي . ان الانجيل يقول (لا يجب أن تخون الهارب) . أوه أن الأمر مختلف معك أنت يا توم ، فإنك تقوم بعملك . أما أنا فقد فعلت ما فعلت من أجل النقود . حسبت انها فرصتي . وكنت أعرف أين يختبئ ولم أجد أية فرصة لكي أحصل على خمسة آلاف دولار . وما أن فعلت ما فعلت حتى نسيت أمر بكستون كما لو أنه لم يعش ابدا ، ولم أفكر كيف يعيش في سجنه .... كالفئران .
وبلغوا محطة البنزين أخيرا . وكان الطلبة متجمعين حول الأوتوبيس وهم يتحدثون في أصوات خافتة . وتقدم أحد رجال الشرطة التابعين لثرى سبرنجز الى الوافدين الجدد وقال :– أوه .... ان الأمر ليس خطيرا . ان الرصاصة خدشت كتفها ولكنها أصيبت بالهستيريا) سأله جيسى وهو يدور بعينيه بين الطلبة من منهما ؟ .
وقالت زوجته في اضطراب : – أهي جريس أم هيلين ....
رمش الشرطي في دهشه وقال : – ان اسمها كما فهمت هو نانسي...نانسي فانشام ،وقد ارسلتها الى ثرى سبرنجز في عربة الدكتور . انهم في الداخل أيها الشريف ، في محطة البنزين .
ومضى الشريف معه ودخل معهما الواعظ هو الآخر .
– اهذا أنت يا أبت .... ماذا تفعل هنا ؟ .
– أهذه أنت يا جريس ...... أن أمك جاءت هي الأخرى .
ثم فقد جيسى هدوءه وهو يضم ابنتيه اليه ... وبدا يبكي وتحدثت الام الى البنتين تفسر لهما الأمر ، وجاء الشرطي وطلب من جيسى أن يرافقه .

كـان بكسـتـون بداخل المحطة مـع الشـريف والواعظ وطالبين وصاحب محطة البنزين والشرطى وجيسى ويليام . ولم تكن هناك أية تعبيرات على الوجه الخشن الملامح وهو يرى ويليام وإنما أومأ برأسه في بطء .

وكان أحد الطالبين يقول : - لم يكن فى نيتى ابدا اصابتها . أو أصابة أى أحد آخر وإنما أخذت المسدس .

وأشار برأسه الى حيث المسدس . وكان موضوعا فوق المكتب ، وهو مسدس صغير جدا يبدو كأنه لعبة صغيرة . وكان مرصعا بالصدف وقد تحطم أحد جنبيه .

- أخذته لكى أطلق رصاصة من النافذة .

ونفذت الى ذهنه فكرة فجأة فقال : - انه ملك لابى . وإذا عرف اننى أخذته فلن أنجو من الضرب .

ورفع رأسه وراح يبكى . وتقدم الواعظ نحوه ، وألقى يده على كتفه ، وهمس فى أذنه بشئ ، وبدا الفتى الآخر يتكلم ، وكان شاحب الوجه ترتعش شفتاه ، ولكن عينيه لم تفارقا الفتى الذى أخذ المسدس . وأنحنى الى الأمام وقال : إذا حدث شئ لنانسى .

رفع جيمى بكستون يده يرد الفتى ، فى حين عاد هذا يقول: اذا كانت اصابتها خطيرة ....

قال بكستون : - ان اصابتها طفيفة ..... إذا ماتت ......

قال بكستون: هراء . أنها ستتناول افطارا شهيا غدا صباحا .

- اذا حدث شئ لنانسى فاننى سأقتلك ..... أقسم بالله . سأقتلك حتى ولو اقتضانى ذلك البقاء فى السجن عشر سنوات .

- إنما أردت اخافتهم فقط .... أردت مداعبتهم .... أخذت المسدس ولكن الأوتوبيس اهتز فجأة فانطلقت الرصاصة .

- اذا كان ولابد ان اشنق أو ان أقضي بقية حياتي في السجن فانني لابد أن أقتلك إذا ماتت .

استدار بكستون بحيث واجه الفتى صديق نانسي ، وأخذ يضربه بيده على صدره في رفق فتحول هذا عن الفتى الآخر ونظر الى بكستون الذى قال :

- اصغ الى . أنك تتكلم عن السجن ...... وتتكلم عن القتل ... اصغ الى .... أنك لم تذهب الى السجن ابدا . أما أنا فقد قضيت كل حياتي فيه .... اقدمت على أشياء شريرة وأنا في مثل سنك ، وكان من الانصاف والعدل ان زجوا بي في السجن .

وأمسك عن الحديث لحظة . وفي الخارج كانت هناك همسات صادرة من الطلبة ، ولكن لزم الجميع الصمت في المكتب . وقال بكستون : غير ان هناك شيئا واحدا لم أطق التفكير فيه ... جعلني أكاد أجن ... وهو كيف عرفوا مكاني والقوا القبض علي ..ان رجلا أعرفه ... رجلا واحدا لم أكن أعرفه معرفة جيدة وان كنا قد شببنا معا منذ الطفولة هو الذى أرشد عني وغدر بي من أجل المال .

التقت عينا جيسي بعيني الشريف ، وتنحنح ويليام قائلا : جيمى ....

ولكن السجين السابق لم يلتفت اليه ولم يبال به . واهتز الفتى قليلا ولكنه لم ينطق واستطرد بكستون :

- وعندما كانوا يجلدونني كل مرة ... وكان هذا يحدث كثيرا ....

وليس كما سيفعل والد ذلك الفتى ، ولكن بسوط كبير ذى شعب تنتهى بقطع من النحاس . كنت أفكر فى ذلك الرجل الذى تسبب فى سجنى .... كنت أفكر فيه ليلا ونهارا ... انك تتكلم عن القتل ولا تعرف ما هو الأمل الذى يغلى فى صدرك للانتقام سنوات طويلة . وحاولت الهرب لكى انتقم من ذلك الرجل . ولكنهم أمسكوا بى وضاعفوا مدة عقوبتى .... وضاعفوا الجزاء .

« وكان تفكيرى فى ايذاء ذلك الرجل الذى تسبب فى ضربى وسجنى حملا ثقيلا كنت أحمله ليل نهار ..... حملا كان يثقل على ويؤلمنى كل الألم .

« وذات يوم لم استطع الاحتمال أكثر من ذلك فتخففت من حملى .... وضحك منى بعض المساجين الآخرين وسخروا لتوبتى ، ولكننى لم أبال بهم ، وعلى الرغم من اننى كنت لا أزال فى السجن فقد أحسست باننى أصبحت حرا .... سامحت ذلك الرجل ، وما ان فعلت ذلك حتى تحررت من المى » .

وفجأة بدا أنه يتذكر اين هو ، فابتسم وخفف ضغطه على الفتى ، وزمجر هذا الأخير وعاد اللون الى وجهه وابتسم فى بطء وقال بكستون : هالوا ....كيف حالك أيها الواعظ ..... وأنت أيهاالشريف ..... وأنت يا مستر جيسى .....

قال الشريف : - حان الوقت لكى نصطحب هؤلاء الفتية الى المدينة . ان اهلهم قلقون ويسألون عنهم فى التليفون .

وقال ويليام : - جيمى ....

- نعم يا مستر جيسى ....

- ذلك الرجل ... الذى خانك ....

ولكن شخصا آخر سبقه الى تتمة قوله فإن الفتى صديق نانسى مسح كتفه بيده وقال :

-- ماذا كان اسمه ؟ .

بدت الدهشة على وجه بكستون الشرس ثم ابتسم وقال لا أدرى وبدا صوته سعيدا ونظر الى الجميع وقال : - لا أذكر .... على أن هذا لا أهمية له . انتى القيت حملى عن كتفى ولا أريد أن التقطة ثانية .

وأومأ اليهم وخرج فى الظلام وسمعوه يقول :مكانكم فى الاوتوبيس .. ليأخذ كل منكم مكانه . قال الشريف : - هلموا بنا .

وتحاشى النظر الى حيسى ، ونهض الطالبان لمغادرة المكتب وقال الشريف : -

من الأوفق ان تستقل انت وليز الاوتوبيس مع بنتيكما ، فلا أظن ان المكان يتسع لكما فى السيارة .

ومضى الجميع الى الباب وخرجوا .

قال أحد الطالبين يخاطب الآخر: سامحنى على ما فعلت .... لم أعن ذلك حقا .

وكان ويليام آخر من غادر المكان .... وانحنت كتفاه وبدا مرهقا جدا ..... ومشى فى بطء كما لو كان يحمل حملا ثقيلا .

☆★☆

لعنة المال

لاريب ان الرياعى الذى اشترك فى هذه العملية البالغة الخطر والشديدة التعقيد كان شاذا وعجيبا . ولكن الواقع انه كان لكل منهم خبرته الخاصة . وكان كل منهم يعرف مهنته وقيمته حق المعرفة ، فقد كانت هذه العملية تساوى أكثر من مائة وعشرين ألف دولار ، وهى مجموع مهايا تلك المؤسسة ، ولهذا وضع كل منهم تأففه جانبا وأقصى عنه كل عداء وبغضاء وصمم على تنفيذ حصته من العمل بكل كفاءة وكل قدرة .

كانت العملية من وضع ماك نايت ، فقد قضى الأسابيع الطويلة فى المراقبة وفى رسم الخطة . ثم قضى أسابيع أخرى فى اختيار رجاله ، وفى مراجعه دورهم ، فى اصراره على الكمال ، كما لو كان مخرجا مسرحيا .

كان الكومودور هو الأقرب الى ماك نايت من حيث المظهر والطباع ، فقد كان متوسط السن انيقا يبدو عليه الوقار ويكسبه وجهه وشاربه الكث مظهر عالم من العلماء ، ويعرف باسم الكومودور لأنه قضى بعض الوقت فى البحرية ، خلال الحرب العالمية الأولى .

ويأتى بعده تويى هندروسون - وهو عامل سابق بالميناء أحيل الى المعاش ، ويتميز بقوة خارقة ، ويبدو عنقه الضخم البارز من رقبة البلوفر كجذع شجرة . وكان من النادر ان ينطق بكلمة ، مكتفيا بأن يترك للآخرين ، وعلى الأخص ماك نايت ، مهمة التفكير والتخطيط نيابة عنه .

أما العضو الرابع من الجماعة فقد كان يعرف باسم آل برونسون ، وهو قاتل محترف عصبى المزاج ، سريع الغضب . وقد اشترك في العملية لا لشئ إلا لأن ماك نايت أحس باعتبار كبير لمواهبه . وقبل برونسون العرض الذى تقدم به ماك نايت ورضى أن ينضم اليه لأنه كان يشعر بتقدير كبير لآراء ماك نايت وأفكاره .

ورضى الكومودور ، بسبب أناقته ووقاره أن يتصادق مع موظفى المكتب الذى ستقع فيه السرقة ، وذلك أثناء الأسابيع الثلاثة السابقة للعملية ، متذرعا بأنه يريد ان يعقد معهم بعض الصفقات التجارية . ولهذا بدا قدومه الى المكتب فى ذلك الصباح طبيعيا . وبينما كان يشغل الموظفين بالثرثرة معهم فى مختلف المواضيع ، كان يراقب بركن عينه أعلا السلم الذى وقفت العربة المصفحة في أسفلة . ورأى الحراس وهم يدخلون بأكياس الأوراق النقدية .

وخاطبته احدى الموظفات قائلة : ها قد جاءت مرتباتنا . اننا مضطرون ان نطلب منك الانصراف الآن .

ابتسم الكومودور ابتسامة رقيقة وقال : لا يجب اغراء الناس .
وأبطأ لحظة أخرى وهو يمضى نحو الباب . وسمع الحراس يتقدمون فى الطرقة ، ولم يكن هناك أى ريب فى أن ماك نايت وبرونسون كانا خلفهما ومسدساهما فى جيبيهما . وتوافق وصوله الى الباب مع وصول الحراس اليه . وتقدمت احدى الموظفات لكى تغلق الباب خلفه، ولكن الكومودور تلكأ لحظة أخرى، محتفظا بالباب مفتوحا فى نفس الوقت الذى عبر فيه زميلاه الطرقة. وتواجدوا جميعهم فى الغرفة شاهرين مسدساتهم فى أيديهم.
وباشروا عملهم كالآلة المضبوطة الدقيقة واستولى ماك نايت وبرونسون على النقود فى حين أخذ الكومودور يوثق الموظفين والحراس ثم حمل ثلاثتهم الأكياس التى تحتوى على النقود وأسرعوا الى السيارة التى كان نوبى ينتظرهم فيها تاركا المحرك دائرا .
وقاموا بتنفيذ الجزء الثانى من خطة ماك نايت بعد ذلك . فإنه بعد أن زار المنطقة وفحصها فحصا دقيقا وقع اختياره منذ بضعة أسابيع على فندق معروف باسم فندق ديبان ، وتملكه مسز هويلر فى جبال نيو ميشاير . وقد ذكرت له مسز هويلر الرقيقة ، ذات الشعر الأبيض أن الفندق يغلق أبوابه دائما يوم ١٥ أكتوبر من كل عام . ولكن ماك نايت استطاع أن يقنعها بأن تترك الفندق مفتوحا لمدة أسبوعين آخرين بعد هذا التاريخ لكى ينزل به هو وثلاثة من اصدقائه لقضاء أجازتهم فى وقت واحد ، خاصة وانهم ينشدون مكانا هادئا ومريحا فى عزلة عن الجميع .
وتم الاتفاق على ذلك ووعدته مسز هويلر أن يبقى الفندق

مفتوحا وأن لا تقبل أى نزلاء آخرين وانها ستحرص على خدمتهم هى وأولادها الثلاثة : ادجار وهومر وبلو . وقد أصر ماك نايت على أن يرى الأولاد الثلاثة واستطاع أن يقيمهم تماما . كانوا هادئين يدل مظهرهم على أنهم لا يتمتعون بذكاء كبير . وعاد ماك نايت الى المدينة وأطلع أصدقاءه على ما تم . وكان الكومودور هو الوحيد الذى أبدى موافقته كما كان برونسون هو الوحيد الذى اعترض على ذلك . ولكن ماك نايت والكومودور رجحت كفتهما عندما هز نوبى كتفه علامة على الموافقة .

وبناء على ذلك وبعد أن ظلوا ينطلقون طوال الليل الفوا أنفسهم أخيرا فى طريق متعرج أفضى بهم الى الفندق فوق منحدر الجبل . ولم يلتقوا فى طريقهم بأى أحد ، ولم تقع عيونهم على بيت واحد خلال الكيلو مترات الثلاثة الأخيرة من رحلتهم .

قال ماك نايت وهو يرى المناظر التى تمر أمام اعينهم : جميل .... كل شئ هنا جميل .

قال برونسون ، وكان يجلس بجواره : انما هو جميل بالنسبة للبوم والسنجاب .

كان الديكور يملأ نفس المسكين بؤسا وشقاء .... عقد ذراعيه وجلس لا يتحرك وراح ينظر مليا أمامه فى حزن وأسى . كانت قبعته العريضة الحواش وربطة عنقه الحريرية البيضاء وقميصه الأسود المنقوش عليه الحروف الأولى من اسمه .... كان كل ذلك يبدو غير منسجم مع هذا المنظر الرعوى .

وقـال مـاك نايت فى رفق : لا تحـزن يا برونسـون . ان هواء الريف سيـصيبك بأكبر الخير . انتظر حتى تأكل فطير التفاح الذى تصنعه مسز هويلر .

وفى آخر العربة راح الكوموبور يضحك . أما نوبى فقد لزم الصمت ، فان شعوره نحوه كان أشبه بشعور برونسون وان كان مختلفا عنه بعض الشئ لأنه كان يشعر بالحذر والارتياب لأن الطبيعة والأشجار كان فيها شئ يفلت منه ، ولهذا لم ينطق بأى نقد .

قال ماك نايت : هل أستطيع أن أعيد الى ذاكرتكم ان الغرض من كل هذا هو أن نبـقى هنا وأن نسـتـجم لمدة اسـبـوعين ؟ .. المفروض أننا أربعة رجال من رجال الأعمال بنيويورك وأننا ننشد الراحة ،فلا ينبغى أن نقدم لهؤلاء الريفيين أية فرصة للشبهة فينا .

قال برونسون وهو يشير الى بونى بابهامه فى سخرية :

– وكيف يمكن ان تزعم انه من رجال الأعمال ؟ .

صاح بونى وهو ينحنى الى الأمام ويضع يديه الضخمتين على مسند المقعد الأمامى : احترس فى اختيار كلماتك .

وقال ماك نايت : هذا شأنى أنا . ان نوبى ليس غبيا . اليس كذلك يا نوبى ؟ ... أنه يعرف كيف يتصرف .

واستطرد يقول : وإذا أردت الصراحة يا برونسون فأنت الذى تثير قلقى . انك متشكك بطبعك ، وسيروق ذلك لهؤلاء الناس ، فهم يحبون الأرض ويحبون البشر ، وأحسن وسيلة لارضائهم هى أن نقلدهم . ان الوسيلة الوحيدة لضمان هؤلاء الناس ونيل عطفهم

هى أن نعكس صورتهم هم بالذات . الست على حق يا كومودور
قال الكومودور : تماما .
وقال برونسون:ومع ذلك فسوف أنام ومسدسى تحت الوسادة .
استقبلتهم مسز هويلر وأولادها الثلاثة عندما انسابت السيارة في الممر ووقفت أمام الفندق . وتذمر برونسون وهو يرى هومر هويلر يخرج الحقائب من الصندوق الخلفي لأن احداها كانت تحتوى على المائة والعشرين الف دولار .
وقالت مسز هويلر وهى واقفة أمام الباب : أننا سعداء جدا باستقبالكم ، وفندق ليبان يرحب بكم .
تقدم الكومودور ورفع قبعته الرخوة من فوق رأسه الصلعاء وانحنى أمامها قليلا وهو يقول :
- لنا كل الشرف يا سيدتى .
احمر وجه مسز هويلر لفرط السرور ، وعندما تقدمت لاستقبال نوبى نظر الكومودور الى ماك نايت وغمز بعينه غمزه خبيثة ، فى حين عبر نوبى عن سروره وتمتم برونسون ببضع كلمات بين أسنانه .
وتولت صاحبة الفندق ، وهى امراة قصيرة القامة ذات شعر أبيض مجعد وابتسامة صبيانية ارشادهم الي غرفتيهما . فأسكنت ماك نايت ونوبى فى غرفة واحدة والكومودور وبرونسون في غرفة أخرى . وما أن فارقتهم حتى اجتمع الرجال الأربعة فى غرفة ماك نايت .

قال برونسون : هل النقود معك ؟

أجاب ماك نايت : طبعا .

- حسنا . ألا نقتسمها الآن ؟ .

- بأية مناسبة ؟ .

- كيف ذلك . أليست ملكا لنا ؟ .

قال ماك نايت : ان السبب الأساسي لمجيئنا هنا يا عزيزي برونسون هو أننا نريد أن نضمن أمننا وسلامتنا . وأظن أن خير وسيلة لذلك هي أن نترك النقود كما هي لأن اقتسامها الآن سيشجع أحدنا على مغادرة الفندق قبل الأوان ، وفي هذا أكبر الخطر لنا جميعا .

قال برونسون : انني لا اوافقك على ذلك .

قال ماك نايت وهو واثق من تأييد الآخرين له : هل تحب أن نلجأ الى التصويت ؟.

أجاب برونسون في حدة : أنس ذلك ، ولكن ضع نصب عينيك دائما يا ماك نايت ان لا تحاول أن تكون أول من تسول له نفسه بمغادرة هذا المكان خفية عن الباقين .

وبقيت الحقيبة الثمينة في غرفة ماك نايت .

وفي الليلة الثالثة ، كان ماك نايت والكومودور يتجولان في ارباض الفندق . وكان الجو رطبا ، وكانت السماء تتلألأ بالنجوم وأوراق الخريف تحت أقدامهما . وقال الكومودور .

- أنني شديد القلق من ناحية برونسن .

كان الكومودور يرتدي بذلة انيقة ومعطفا من التويد وقبعة رخوة ، وقال ماك نايت :

- لا تحفل به ، فليس هناك من يسانده .

- أوه ، ليس هناك ما يقلقني من هذه الناحية ، وان كان في مقدوره ان يضم صاحبنا الغوريلا الى صفه . انما الذي يثير جزعي هو ان اعصابه بدأت تخونه ، فهو لا يطيق البقاء في هذا المكان كما تعرف . وقد يدفعه ذلك الى عمل أخرق . ان هؤلاء الريفيين ليسوا سذجا كما تظن . ربما تكون المرأة العجوز ساذجة ولكنني غير واثق من أولادها فهم متشككون فاترون .

- هذا طبع متأصل فيهم .

قال الكومودور : ولكن كان ينبغي أن يزول فتورهم الآن .... أعني ماداموا يديرون فندقا ويتولون كل الأعمال الخاصة به .

قال ماك نايت : اظن ان ذلك لأنهم لا يحبوننا أولا ولانهم يشتبهون فينا ثانيا . ومهما يكن فأننا لسنا من النزلاء العاديين ، وليست لنا حيلة في ذلك فنحن لا نمارس الرياضة ولا نتبادل معهم الحديث ، ولا نركب الخيل ولا نقوم بنزهات أو بأي شئ من هذا القبيل ما ظنك بنزلاء يمكثون في غرفهم طوال اليوم ولا يفعلون شيئا غير تبادل النظرات .

تنهد الكومودور وقال : مما يؤسف له انه ليست لنا أية صفات مشتركة . فلو كان الأمر كذلك لأمكننا ان نقضي أوقاتا رائعة .

قال ماك نايت · ولكنك على حق فيما يتعلق ببرونسون ، فأننا

لم تقض هنا غير يومين ، ويخامرني احساس بأنه ينوى أن يفعل شيئا يستوجب الندم ..... لا تنس أن المبلغ جسيم يا كومودور

وتمنى ماك نايت أن يكون قد نطق بالماعة فطنه .

وقد ادرك الكومودور على الفور ، بغريزته الحادة الايحاء الذى يرى ماك نايت اليه . وراح يفكر فى الأمر بكل ما أوتى من ذكاء ، ولكنه اراد أن يستوثق أولا فقال وهما يخرجان من غابة الصنوبر الى الممر الذى يؤدى الى الفندق :

– نعم . انها لتكون ضربة قاصمة لنا لو ان احدا أقدم على خطوة خرقاء ، الآن على الخصوص . وفى أمكاننا ان نتحاشى ذلك. لا أظنك تقترح ان نقدم لشريكنا المزعج حصته الآن.اليس كذلك.

قال ماك نايت متحاشيا غموض الكومودور : ابدا . انني متمسك بخطتى الاساسية . وإذا أعطينا برونسون نصيبه الآن فسيعود فورا الى نيويورك وينفق حصته دون حساب ويفتضح امره .... انه سيتكلم عندئذ ...... و ..... حسنا يا كومودور .... انك تعرف الباقى ، ولا حاجة بى الى الاصرار .

– انني اوثر الموت عن العودة الى السجن .

– انني افهم مشاعرك .

– ولكنك لا تدرى مداها يا ماك نايت . عندما اقول انني أوثر الموت فانني اتكلم بكل صراحة . ان معى قرصا يضمن لى ميتة شنيعة خلال ثلاث دقائق من ابتلاعه ، وفى نيتى ان ابتلعه إذا ما ساءت الأمور بدلا من العودة بين تلك الجدران القذرة .

- ارجو ان لا تضطرك الظروف الى ان تلجأ الى مثل هذه الوسيلة الأخيرة يا كومودور .

- انني أريت هذا القرص لهندرسون . ان الوسيلة الوحيدة للتأثير على رجل له مثل مقدرته المحدودة في استيعاب الأمور هو ان تريه شيئا ملموسا كهذا .... أردت أن اقنعه بأهمية هذه المسألة لكى يضبق فمه ، واستطيع ان اقول ان عملى هذا قد احدث أثره .

قال ماك نايت : ان نوبى لا يزعجنى . انما برونسون هو الذى يثير قلقى .

وفى صباح اليوم التالى ، وبينما كان ماك نايت يحلق ذقنه سمع طرقة على الباب ثم دخلت مسز هويلر ووقفت على عتبة الباب ويداها معقودتان فوق مئزرتها وقالت :

- هل أنت مستعد لتناول الأفطار مع مستر هندرسون ؟ .

قال ماك نايت : بعد خمس دقائق . هل صحا مستر برونسون والكومودور ؟ .

- انهما هبطا مبكرين جدا وخرجا للصيد .

نظر ماك نايت اليها مشدوها وقال : خرجا للصيد ؟ .

- نعم . فإن المنطقة تعج بالأرانب البرية ، وقد عرض هومر أن يرشدهما الى الأماكن التى تكثر بها .

قال مالك نايت : ولكن ليس لديهما بنادق .

قالت · أننا قدمنا لهما بندقيتين .

راح ماك نايت يفكر . وسمع طلقات نارية من بعيد . وقال : لم يحدثنى أى منهما عن هذا مساء أمس .

وتساءل إذا لم يكن الكومودور قد تعمد ان لا يشير الى ذلك اثناء الحديث الذى تبادله معه أمس .

قالت مسز هويلر : لقد أوحى الكومودور بالفكرة . وقد هبطا فى الساعة الخامسة والنصف .

– حسنا . هذا جميل . ان قليلا من اللهو لن يضرهما .

وبعد ان فرغ من تناول افطاره مضى الى الشرفة واشعل سيجارة . توقع ان يفلح الكومودور فيما يريد . لم يكن واثقا من أى شئ فيما يتعلق ببرونسون . ولكنه كان يعلم ان الكومودور يجيد الرماية . وفجأة توقفت الطلقات النارية التى كانت تسمع من وقت لأخر وتبدو كما لو كانت هزيم الرعد . وخيم صمت غريب وملموس على الغابة .

وبعد نصف ساعة تقريبا أقبل هومر هويلر وهو يجرى ووقف أمام الدرجات الأمامية للشرفة وهو يلهث وقد جحظت عيناه كما لو كان قد رأى شئ وصاح :

– مستر ماك نايت ...... لقد وقع حادث على مقربة من المستنقع .

سألة ماك نايت فى صوت حاد كما لو كان يلقى سؤاله هذا للمرة العاشرة :

– أى نوع من الحوادث ؟ .

والقى بسيجارته وهو يهبط الدرجات ركضا :

– حسنا . لقد خرج مستر برونسون والكومودور صباح اليوم لصيد الأرانب .

- انني أعلم ذلك . ولكن من الذى أصيب بحق الشيطان ؟ .
أمسك هومر لحظة واتسعت عيناه وهو يتنفس فى شدة ثم قال:
- مستر برونسون .

كان برونسون ملقى على وجهه ، فى الطين ، على حافة المستنقع ، والكومودور يجلس غير بعيد منه ، فوق صخرة عالية وهو يمسك بالبندقية فى يده كما لو كان راعيا يمسك بعصاه . ونظر اليهم وهم مقبلون من خلال الاغصان : ماك نايت ونوبى والأخوة هويلر الثلاثة : هومر وادجار وبلو ... احاطوا كلهم بالجثة واسنانهم تصطك . ومضى ماك نايت ونوبى الى الكومودور . وقال هذا الأخير فى هدوء وبصوت ثابت :

- كنا نصطاد ، واراد برونسون ان ينطلق من ناحيته ، ومضى نحو المستنقع ، ومضيت انا الى الناحية الأخرى . ورأيت شيئا يتحرك فانطلقت النار . ولما لم أسمع ردا على نداءاتى المتكررة عدت فوجدته . ومضيت نحو الفندق ، والتقيت بهومر فى الطريق فأرسلته اليكم .

نظر ماك نايت الى برونسون ... وضعه موت الرجل امام مشكلة دقيقة . وتأمله الأخوة الثلاث بوجوه محايدة وهم ينتظرون . وسار اليهم وقال :

- انني حزين جدا يا أولادى .

قال هومر فى اكتئاب : نعم يا سيدى . ونحن كذلك .

وقال ادجار : هذه دعاية سخيفة للفندق ...

وقال ماك نايت : أه .... حقا ؟ .

ثم استطرد يقول فى قوة : نعم : هذا صحيح طبعا انها دعاية

سيئة جدا . ان مثل هذا العمل يمكن ان يبعد النزلاء بكل تأكيد . ستكون لفندقكم سمعه سيئة .

قال هومر : ولكن لم يعد فى مقدورنا أن نفعل شيئا .

قال ماك نايت : بل ربما نستطيع . اننى أشعر بأننى مسئول شيئا ما . لم يكن الكوموبور يعرف ذلك طبعا ولكن ما كان يجب ان تسمحوا لبرونسون ان يشترك فى مثل هذه الرحلة ، فإنه شديد الانفعال وأخرق . ولم يكن يعرف شيئا عن أصول الصيد . ولو اننى عرفت بالأمر لمنعته .... لا أريد ابدا أن تلحق بفندقكم أية سمعة سيئة بسبب هذا الأمر .

نظر الأخوة الثلاث اليه وانتظروا فى صمت . وبدت وجوههم كوجوه هيئة من المحلفين . وراحت النسمة الرطبة تداعب الاغصان فى تنهيدة حزينة وتجعد وجه المستنقع الذى بدأ يتلألأ تحت أشعة شمس الصباح .

واستطرد ماك نايت يقول : يخيل لى أنه لا داعى لأن يعرف أى أحد ما حدث ..... فيما عدانا نحن طبعا ، وفيما عدا اصدقاء مستر برونسون فى نيويورك . انه وحيد لا أقارب له ولا أهل ليسببوا لكم أية متاعب فماذا لو تركتمونا نعود به الى نيويورك ونقيم له جنازة عادية دون أن يعلم أحد بما حدث له ؟ ..... ان حوادث الصيد تقع فى كل مكان ..... هل تفهمونني ؟ .

قال هومر : نعم .

– هل تعتقدون ان هذه فكرة صائبة ؟ .

قال هومر : اظن ذلك .

ونظر الى أخوية . ولم يخالفه أي منهما ، فقد كان هو الأكبر ويأتي من بعده ادجار ثم بلو ، وهذا الأخير كان خجولا بعض الشئ أو لعله كان متخلفا ذهنيا . فقد كان من النادر ان ينطق بشئ على كل حال . وعاد هومر الى ماك نايت وقال :

– اننا نرى ان هذا عمل كريم منك يا مستر ماك نايت .

قال هذا الأخير : حسنا هلموا بنا الآن لكي نطلع والدتكم على ما حدث .

بعد ساعتين كانت جثة برونسون قد نقلت الى المقعد الخلفى للسيارة وفوقها غطاء اعارته مسز هويلر بكل رضا للاصدقاء الثلاثة المحزونين . وكانت الحقيبة التى بها النقود من ضمن الحقائب التى اخذوها معهم ، ولكنهم تركوا أغلب حقائبهم لكى يطمئن آل هويلر الى عودتهم .

وانحشر الاصدقاء الثلاثة المحزونون فى المقعد الأمامى للسيارة . وقال ماك نايت :

– ترى ، هل نجد هناك مكانا مناسبا ؟ .

قال الكومودور وهو ينظر الى الأشجار التى تتابع خلفهم : لا ريب انه يوجد هنا اماكن كثيرة مناسبة ، ولكن لابد لنا أن نكون على حذر على كل حال.....ان هذا الأمر يدعو الى السخرية حقا .

سأله ماك نايت : ماذا تعنى ؟ .

– ان يرقد برونسون رقدته الأخيرة فى هذه البقاع التى كان يبغضها كل البغض .

قال ماك نايت في لهجة حالمة : من النادر ان يختار الانسان قبرة بنفسه . ولكنني اظن ان هذا العجوز برونسون سوف يجد راحته هنا ، في هذه التلال أكثر مما لو كان قد دفن في تايمز سكوير مثلا .

قال الكومودور : تعبير جميل جدا يا ماك نايت .

ودلفوا الى طريق غير ممهد ظلوا ينطلقون فيه لعدة كيلو مترات . كان المكان مقفرا تماما ، ولم تكن هناك أية آثار لعجلات سيارات فوق الأرض . وبلغوا أخيرا مكانا كثيفا من الغابة ، فأوقف ماك نايت السيارة وهبطوا منها . وقال وهو يفحص الغابة الهادئة حيث تبدو جذوع الأشجار متشابكة لمواجهة الشتاء المقبل وقال :

- هذا أنسب مكان لالقاء الجثة . وعندما يأتي الربيع ستكون قد اختفت تماما . بل هناك فرص كثيرة في أن لايكتشفها أحد قبل سنوات ، فليس هذا بالمكان الذي يعج بالمتنزهين .

واصدر ماك نايت امره لنوبي . ومضى هذا الأخير الى السيارة وفتح بابها الخلفي وحمل الجثة الهامدة تحت الغطاء والقاها فوق كتفه . ثم تبع الرجلين خلال الادغال الكثيفة التي كانت تعرقل كل خطوة من خطواتهم . وإذ بلغوا مكانا كثيفا وعرا توقف ماك نايت فترك نوبي الجثة تقع، وهوى برونسون على الأرض ، وتعلق الغطاء بالأشواك وكشف عن الوجه الأبيض ذي العينين المفتوحتين .

وقال ماك نايت : كان في مقدورك ان تلقيه في رفق . ثم قفلوا راجعين ، تاركين برونسون يتأمل من خلال الأغصان ، الأوراق

العالية التى لن يلبث ان تغطيها الثلوج . وركبوا السيارة وانطلقوا بها . ولكى تبدو رحلتهم الى نيويورك معقولة قضوا الليلتين التاليتين فى موتيل يبعد عن الفندق بنحو مائة كيلو متر . وخضعوا لقانون السوقة والأوباش ، فلم يشر أى منهم الى موت برونسون . لم ينطق ماك نايت ولا الكومودور بكلمة واحدة . ولزم ماك نايت الصمت بلباقة طوال اليومين تاركا للكومودور حرية التكلم فيما حدث لو أراد. ولكن بدا أن كلا منهما انتظر حتى يبدأ الآخر بالكلام.

ولكن اشير الى موت برونسون مع ذلك وبطريقة عجيبة . وكان ذلك خلال الليلة الثانية لاقامتهما فى الموتيل . كانوا يجلسون هم الثلاثة فى غرفة واحدة يصغون الى قطرات المطر وهى تصطفق بزجاج النافذة ، عندما تكلم نوبى فجأة فقال :

– الآن وقد مات برونسون اظن ان حصة كل منا قد ارتفعت .

وكان نوبى معروفا بأنه يفتقر الى الذكاء ، ولهذا كانت دهشتهم من العملية الحسابية التى قام بها دون دهشتهم من الطريقة التى تكلم بها . وقال ماك نايت .

– طبعا يا نوبى . لا يمكن ان ننكر ذلك . وهذا أمر يؤسف له بالنسبة للفقيد طبعا ولكن .....

وتدخل الكومودور فقال : اننى واثق انه كان يؤثر ان توزع حصته علينا بدلا من ان يحصل عليها غيرنا ، فلم يكن هناك من يقدر الأخطار أكثر منه .

قال نوبى : انما أردت أعرف فحسب . وهذا كل شئ .

وعاد الى طبعه الأول وهو الصمت .... صمت مرير كان

يلجأ اليه لا لأنه لم يكن يجد ما يقوله ، ولكن لأنه كان يدرك أنه عاجز عن التعبير بذكائه وفطنته خصوصا أمام ماك نايت والكومودور . والبيان الذى القاه حاليا بخصوص التقسيم الجديد للنقود كان فى ذهنه منذ أن وقعت عيناه على جثة برونسون . وفى الصمت الذى كان لابد منه ظل يقارن باستمرار بين القسمة على أربعة وبينها على ثلاثة لمبلغ مائة وعشرين ألف دولار . كان يعرف أنه كلما قل عدد الشركاء كلما ارتفعت حصة النقود ، ولكنه اراد ان يتأكد مع ذلك وكان يعرف كذلك أشياء كثيرة عن الطبيعة البشرية التى يعاشرها ، فقد تنقل فى أماكن كثيرة بحيث أصبح فى مقدوره ان يرى وان يفهم . وكان قد لحظ العداء الذى كان بين زميليه وبين الفقيد . وربما مات برونسون بسبب حادث أو بسبب خلاف فى الرأى بحيث كان لابد من تسوية ...... أو ربما لأنه كلما نقص عدد الشركاء زادت حصة النقود .

رجعوا الى الفندق فى صباح اليوم التالى ، وأكدوا لآل هويلر ان سمعة فندقهم فى الصون والأمان . وابدت مسز هويلر سرورها وامتنانها لذلك فقالت :

– لن انسى أبدا ، لا أنا ولا أولادى ، ما فعلتم أيها السادة .

وكان الأولاد قد اصطفوا خلفها ، فهزوا رؤوسهم مؤمنين .

واظهارا لتقديرها لما فعلوه صنعت لهم ثلاث فطائر بالتفاح وجاءتهم بها فى المساء . وقال ماك نايت وهى تضع الطبق الساخن الذى يتصاعد منه الدخان فوق المائدة : اشكرك كثيرا .

وقالت مسز هويلر : سأتيكم بالشاى بعد قليل ثم خرجت .

وقال الكومودور وهو ينظر الى الفطائر : هذا منتهى الكرم .

وانحنى نوبي وأخذ فطيرته وراح يلتهمها .

وقال الكومودور في لهجة حالمة : اذا ما فكرت في التقاعد فسوف أقيم في هذا البلد . واظن أن هذا الوقت ليس ببعيد .

قال ماك نايت ممازحا : تتقاعد يا كومودور ؟ ... مع مالك من مواهب ؟ .

أجاب الكومودور:انني لا أهزل...ربما استطعت البقاء هنا و.....

ولكنه لم يتمكن من اتمام عبارته لأن نوبي ، وكان يجلس بجانبه ترنح فجأة فوق مقعدة واصطدم بالمائدة وهب واقفا وقد توترت عضلات وجهه وبدأ كأنه بدأ يجن من الألم . وارتد حتى الجدار وهو يهبش صدره بيده الضخمة كما لو كان يحاول أن يدخلها فيه لكي ينتزع منه الألم ثم اتسعت عيناه وراح ينظر إلى الكومودور الذي أخذ ينظر اليه هو الآخر فاحصا .

وقال نوبي وهو يلهث : انك .... انك دسست ذلك القرص القذر في طبقي ..... قتلت برونسون ، وتريد قتلي الآن .

وراح ينطق بكلمات متقطعة وهجم على الكومودور واطبق على عنقه بيديه الضخمتين وطرحه ارضا . وتدحرج الرجلان فوق الأرض ، ونوبي من فوق وقد انتفخت عضلات عنقه الضخم .

وقف ماك نايت بدوره والتصق بالجدار . وبقي جامدا متوترا يشهد معركتهما المتكافئة كالرجل الذي لا حول له ولا قوة وهو يشهد مذبحة تدور أمامه . وانبعث من حلق الكومودور حشرجة ضعيفة تنطق باليأس . ولكن ماك نايت لم يسعه ألا أن يفكر في الحقيبة بأوراق النقد .... وفي أن كل الأوراق المالية أصبحت ملكه

الآن لا ينازعه فيها منازع ... ألم يتحدث الكومودور منذ لحظة واحدة عن رغبته في التقاعد ؟ راحت هذه الفكرة الغريبة تدور في ذهنه المشوش وقال لنفسه أنه سوف يموت مختنقا بعد قليل وان نوبى ، بفضل السم الذي يسرى في احشائه لن يعيش بعده أكثر من دقيقة أو دقيقتين . وقال لنفسه أن الكومودور قد جانبه الصواب هذه المرة وانه كان من الغباء بحيث دس القرص المسموم في الفطيرة .

ثم توقف كل شئ...انتهى الأمر .... وتمدد الكولونل على ظهره وقد حول وجهه كما لو كان لا يريد ان يرى منظرا كريها . وكان نوبى راكعا ورأسه الى الأمام وقد تدلى فكه وراح يلهث ، وانسابت منه الحياة هو الآخر كما ينساب الماء من صنبور مفتوح . واختلج جسده اخيرا ووقع على جنبه وانتهى امره هو الأخر .

ولم يتحرك ماك نايت . كان يحدق في الرجلين غير مصدق . وبدا أن خوفا غريبا غير لون عينيه . ولكن صورة رزم الأوراق المالية اسكرته ولم يلبث ان تهلل وجهه .

وغادر الغرفة وخرج من البيت في سكون . كانت الليلة رطبة جدا والرياح تغنى في الأشجار . وسار لحظة قصيرة وهو يحاول ان يرتب في ذهنه آلاف الأفكار التي تعصف به كما لو كانت جيشا من الأشباح ..... كيف يتصرف في الجثتين ؟ .... وكيف يغادر هذا المكان من غير أن ينكشف امره . لم تكن هذه مسائل عويصة جدا ولكن كان لابد له من مواجهتها مع ذلك في حذر .

وفي هذه اللحظة سمع صوتا خلفه .... خطوات تمشى فوق

الأوراق الميتة . وعلى ضوء النجوم رأى مسز هويلر ، تلك السيدة العجوز وقد لفت حول رأسها شالا أبيض ، تأتى نحوه . وقالت فى لهجة حزينة :

مستر ماك نايت .ألا تعرف ان هناك رجلين ميتين فى غرفتك ؟

كاد ان ينفجر ضاحكاً .خيل له أنه حطم حياة مسز هويلر الآمنة البريئة ، وأنه أقدم على مخالفات تضطرها الى ابلاغ أولى الأمر .

قال : لا اظن انهما ميتان .....انهما مريضان ...... وسأمضى بهما غدا .

– اوه ، كلا يا مستر ماك نايت . انهما ميتان حقا .

– حسنا . لا ريب انك على حق . لقد دفعهما طبعهما الحاد الى المشاجرة ولم استطع ان أفعل شيئا . يخيل لى أن هذا المكان يجلب النحس .

سألته : أنك لم تأكل فطيرة التفاح ..... اليس كذلك ؟ .

– فطيرة التفاح !

– يبدو أن مستر هندرسون والكومودور قد اكلا فطيرتيهما .

قال ماك نايت وقد بدأ يشعر بشئ من الضيق : أننى لا أفهم يا مسز هويلز .

– لو انك أكلت فطيرتك كما كان ينبغى لكنت الآن فى عداد الأموات مثلهما .

– هل تقصدين أنك وضعت شيئا فى الفطير .

نطق ماك نايت بهذه الكلمات العجيبة فى نفس الوقت الذى ادرك فيه الحقيقة . نطق بها وهو مصعوق ، كالرجل الذى يتنزه فى الظلام ويجد نفسه أمام أفعى فجأة .

وقالت مسز هويلر وقد تغير صوتها وان كانت لهجتها لا تزال رقيقة :

– أرايت يا مستر ماك نايت ؟ ..... كنا نعرف من أنتم فأننا نقرأ الجريدة هنا . وقد جئتم ومعكم هذا الاغراء الكبير بحيث فقدنا عقولنا . كل هذه النقود !

سألها ماك نايت : هل أنتم على علم بالنقود ؟ .

– أننا على علم بكل شئ .

– وهل قتل أحد أبنائك برونسون ؟ .

– هومر . انه امهر الرماة فى المقاطعة . وما كانت الجثة لتزعجنا . واننى واثقة انكم تمكنتم من اخفائها جيدا . وفى هذه اللحظة بالذات ينقل أولادى مستر هندرسون والكوموبور المسكين . وكان هذا الأخير ظريفا حقا . وسيلقيان بهما فى البئر القديمة .

ورآها ماك نايت عندئذ تمسك فى يدها مسدسا صغيرا وتبتسم فقال :

– لا تتسرعى يا مسز هويلر ..... ألا تدركين ما سوف تفعله هذه النقود بكم . أنت وأولادك ؟ ... ألا تعلمين ان لها قوة تفسد كل شئ وتغير الناس .

واستطرد يقول يائسا : انظرى ماذا فعلت بأصدقائى ..... الشك والارتياب والعنف . يخيل لى أنك تعيشين هنا عيشة هادئة مريحة ، انت وأولادك ، فهل تريدين افساد كل هذا بهذه النقود التى لن تجلب لكم إلا المصائب والغيرة والشقاق والنحس .

ولكن مسز هويلر ظلت تبتسم فى رفق كما لو كانت تتأمل طفلا يلهو ويمرح . وقال ماك نايت :

– سوف تقتلينني أذن ؟ .

أجابته : نعم .

وقتلته . وأعادت المسدس الى جيب مئزرتها والدخان لا يزل يتصاعد منه ، ولفت بالبيت ودخلت الحديقة ورأت الشابين بجوار البئر فقالت :

– يمكنكما أن تذهبا وتأتيا بمستر ماك نايت . انه فى الغابة . سأصعد لكى ابحث عن النقود . هل ألقيتم بالرجلين الآخرين ؟ .

قالوا هومر : نعم يا أماه .

قالت : حسنا . والآن ... ولكن اين بلو ؟ .

قال ادجار : لقد وقع له حادث يا أماه .

وقال هومر : أنه وقع فى البئر .

راحت مسز هويلر تنقل عينيها بين الوجهين الهادئين الجامدين وهى تفكر فى كلمات ماك نايت الأخيرة ، ولم يسعها إلا أن تقول : يا الهى ...... أوه ... رحماك يا الهى .

★★★

سر الصندوق
بقلم اوجست ديريليث

كنت أتناول طعام الأفطار مع بونس في يوم جميل بعد اسبوع واحد من عودتنا من الريف والفراغ من قضية الفرسان الهامسين الغريبة عندما فتح الباب العمومي للبيت في عنف واندفعت أقدام تصعد السلم المؤدى الى مسكنتا . ورفع بونس عينيه في اهتمام وقد توتر وجهه من الانتظار وقال وهو يهز رأسه : – امرأة شابة .

وألقى نظرة الى الساعة ، وكانت تشير الى السابعة ، وأردف :

– انها قادمة فى مسألة هامة جدا بالنسبة لها . لم تفكر فى الوقت وهى تتردد الآن . كلا ، أنها ستدخل .

وكان صوت وقع الأقدام قد ازداد وضوحا ولم تمض لحظة حتى سمعنا على الباب طرقة خفيفة وجلة وصوت يقول فى خوف:

– مستر بونس ...... مستر سولار بونس !

قال بونس : – هل لك أن تفتح يا باركر .

كانت هناك فتاة مسترسلة الشعر لم تتجاوز الخامسة والعشرين من عمرها بعد تقف بالباب وبيدها ربطة تضمها الى صدرها وتغطيها بوشاحها . راحت تنقل عينيها الزرقاوين الصريحتين بيننا . وكانت شفتها السفلى ترتعش وقد اضطرمت وجنتاها

اللتان يعلوهما نمش خفيف ، ثم تحولت بتلك الغريزة التى أشتهرت بها النساء الى بونس قائلة : مستر بونس ؟ أرجو أن لا أكون متطفلة ولكن لابد لى من المجيئ . كان لابد من أن أفعل شيئا فإن عمى لن يقدم على شئ . سينتظر ماسوف يقع ... أنه أمر فظيع يا مستر بونس ... فظيع.

– تفضلى بالدخول يا أنسة .

– أنا فلورا مورلاند ، وأقيم بقصر مورلاند ، ولعلك سمعت عن عمى الكولونل بيرتون مورلاند .

أسرع بونس يقول : – المقيم السابق بملقا ! ولكن هدئى من روعك يا أنسة مورلاند واعطنى هذا الصندوق .

صاحت وهى تضمه الى صدرها فى قوة : – كلا ...... كلا ...

ولكنها لم تلبث أن عضت على شفتها وابتسمت ابتسامة باهتة ، وقالت : – ولكننى أتيت لكى أعطيك اياه . اصفح عنى يا مستر بونس . سوف تتحقق بنفسك .... الآن .

ورفعت الوشاح فبدا للعيان صندوق صغير فى حجم صندوق السجاير تقريبا مصنوع من خشب الكامومينج الذى اشتهرت الملايو بانتاجه وقد نقشت على غطائه وجدرانه نقوش عربية جميلة المنظر شرقية التصميم .

وقالت وهى ترتجف : – افتحه يا مستر بونس . لا أعرف كيف استطعت ان احمله معى طوال الطريق لن استطيع أن انظر اليه مرة أخرى .

أخذ بونس الصندوق منها فى رفق . وأبعد أطباق الطعام جانبا ووضع الصندوق فوق المائدة . وبقى لحظة يتأمل النقوش ومس مورلاند واقفة تنتظر فى توتر ثم فتح أخيرا :

كادت انفاسى أن تتوقف ولا أدرى ماذا كنت أتوقع أن أرى .... ربما جوهرة ثمينة أو كنز تتناسب قيمته مع شكل الصندوق الثمين . ولكننى رأيت شيئا لم اتصور أبدا أن أراه فقد كانت بالصندوق يد أدمية محنطة مقطوعة عند المعصم ومثبتة بقاع الصندوق بشريطين رفيعين من الحرير الأبيض .

وبدا انفعال بونس فى عينيه فقد ومضتا ببريق من الاهتمام العاجل ولمس الجلد الجاف باصبعه بينما راح يتحسس بيده الأخرى جوانب الصندوق ثم قال : فسيفساء ..... فن ايطالى يا مس مورلاند . ولكن هذا الصندوق يبدو لى أنه جاء من الشرق فإن النقش كله شرقى . هل لك أن تخبرينا كيف جاء اليك ؟ .

وأغلق الصندوق أسفا . وكانت مس مورلاند قد جلست بجوار المدفأة فاقترب منها ووقف بجوار رف الموقد وأخذ يحشو غليونه بالتبغ البغيض الذى يدخنه .

وضمت مس مورلاند يديها وقالت : لا أدرى كيف أبدا يا مستر بونس .....

– ابدئى بهذا الصندوق الغريب الذى جئتنى به .

– أرسله الى عمى منذ ثلاثة أيام يا مستر بونس . وقد تسلمته أنا بنفسى من الساعى . وقد أرسل بالبريد من كوالا لامبور . وكان عمى فى مكتبه صباح اليوم عندما ذهبت اليه به . وقد اكفهر

وجهه عندما رأى الطرد ولكننى عزوت ذلك الى تعجبه عمن يكون المرسل لأنه غادر الملايو منذ نحو عشر سنوات . وكان المفتاح مع الصندوق ولكن لم يكن عنوان المرسل مسطورا . وأزال عنه اغلفته ، وكنت قد تحولت عنه لكى أعيد بعض الكتب الى رفوفها عندما سمعت فجأة صوتا مكتوما يصدر منه ووقع على الأرض مغمى عليه ، فأسرعت اليه ورأيت عندئذ ما بداخل الصندوق . وكانت هناك بطاقة صغيرة كذلك وبها هذه الكلمات « أننى قادم اليك » .

قال بونس : – ولكن البطاقة ليست فى الصندوق .

– أظن ان عمى وضعها فى مكان آخر . فقد أغلقت الصندوق يا مستر بونس لأننى لم أستطع أن أنظر الى ما بداخله أكثر من ذلك ، ثم حاولت أسعاف عمى . وكنت اتوقع ان يخبرنى بأمر الصندوق وبالمعنى من كل ذلك ولكنه لم ينطق بشئ ...... لم ينطق بكلمة واحدة . وحين رأى أن الصندوق مغلق حسب أنه أغلقة قبل أن يغمى عليه واننى لا أعرف ما فيه .... اننى روعت كل الروع بما رأيته داخل الصندوق يا مستر بوبس ولكننى انزعجت كثيرا لأن عمى لم يذكر لى شيئا عنه ، ومنذ أن تسلمه انهمك فى ترتيب أوراقه وتنسقها .

– هل أبلغ البوليس ؟ .

– لا أدرى يا مستر بونس .

أخذ بونس بضعة أنفاس من غليونه وهو يفكر ثم قال : – أظن أنك يتيمة الأبوين وأنك تقيمين مع عمك ؟ .... منذ متى ؟ .

أجابت : – منذ عشرة أعوام فقد ماتت أمى وأن صغيرة جدا

ومات أبي بعد عودة عمي من الملايو بخمس سنوات . وكان عمي كريما معي فعاملني كما لو كنت ابنته .

– اليس عمك متزوجا ؟ .

– تزوج عمي بيرتون مرة واحدة . واظن ان بعض الشوائب غشيت زواجه . وقد اتفق ان تكلم عن زوجته ذات مرة في استنكار ووصفها بالمرأة الاسيوية . وقد قضى ابن عمه نيقولاس خمس سنوات في الملايو وتزوج هو الآخر بامراة اسيوية . وقد ماتت زوجة عمي بيرتون قبل ان يعود الى انجلترا .

– وابن عمك ؟

– عاد مع عمي بيرتون ، وهو محام وله مكتب في المدينة وزوجته صاحبة محل صغير رائج في ميدان ستراند .

– ابن عمك ..... تعنين ابن عمك نيقولاس مورلاند ؟ .

– انهم ثلاثة أخوة يا مستر بونس .... أبي وابو نيقولاس وعمي بيروتون .

– اظن ان ابن عمك نيقولاس كان مساعدا لعمك في الملايو ؟ .

– نعم يا مستر بونس .

– وكم يبلغ عمك من العمر يا مس مورلاند ؟ .

– سبعون عاما .

قال بونس :– كان في الخامسة والخمسين عندما اعتزل اذن ؟ ... كم سنة ظل مقيما في ملقا – خمس عشرة سنة . ذهب الى الملايو عندما بلغ الأربعين . والحق انني لم اعرفه إلا بعد عودته فلم أكن قد ولدت بعد عندما ذهب الى هناك . ولكن بدا أن عمي

بيرتون قد أولع بى عندما وقعت عيناه على وكان طبيعيا أن يدعونى للأقامة معه بعد أن مات أبى . ان عمى بيرتون ثرى جدا وله خدم كثيرون ، ومع أن بعضهم يراه صارما ألا أنهم يتفانون فى خدمته . وقد أرسلنى الى المدرسة ثم الى الكلية بعد ذلك . ومن ناحيتى فاننى أساعد فى شئون البيت وأقوم بدور ربة البيت عندما يدعو ابن عمى وزوجته وغيرهما للعشاء . وعمى رجل مستقيم لا يرضى عن أى انحراف ، وبهذا ترى أنه ليس هناك أية مشاكل اجتماعية يمكن ان اخشاها .

- وورثة عمك ؟ ...... من هم ؟ .

اجفلت عميلتنا ونظرت الى بونس فى دهشة ثم قالت أظن اننى أنا ونيقولاس وريثاه الواحيدان اننى لا أعرف شيئا عن أعماله يا مستر بونس ولكننى اعتقد أنه ليس هناك أحد آخر فكل اقاربه ماتوا فيما عدانا نحن الاثنين. وليس لنيقولاس أولاد .

وأخذت نفسا طويلا ثم قالت على مضض : - هل يمكنك ان تجلو هذه المشكلة يا مستر بونس ؟ يزعجنى جدا أن أرى عمى بيرتون...حسنا...يتأهب للموت. فهذا هو ما يفعله يا مستر بونس.

- ألا يعرف عمك انك قادمة الى يا مس مورلاند ؟ .

- كلا ، فقد غادرت البيت فى الفجر . ونادرا ما ينهض من فراشه قبل الثامنة .

- اذن فأنت لم تتناولى افطارك بعد يا مس مورلاند ؟

- كلا يا مستر بونس .

قال مستر بونس وهو يمضى نحو الباب اسمحى لى اذن .... وأطل برأسه الى الخارج وصاح مسز جونسون . من فضلك .

ثم تحول الى عميلتنا وقال : - أرجو أن تمنحيني بضع دقائق لكي أفكر في مشكلتك يا مس مورلاند ، وفي أثناء ذلك يسر مسز جونسون أن تعد لك طعام الأفطار في غرفتها . أليس كذلك يا مسز جونسون ؟ .

وكانت صاحبة البيت قد دخلت منذ لحظة فأجابت تقول : - طبعا يا مستر بونس ..... تفضلي معي يا أنسة .

وخرجت مس مورلاند معها وهي مذهولة بحيث لم تستطع أن تنطق بكلمة اعتراض . وما أن أغلق الباب خلفها حتى أسرع بونس الى الصندوق ففتحه . وأسرعت اليه فقال يسألني :

- أليس هذا انذارا غريبا يا باركر ؟ .

- أنني لم أر شيئا بمثل هذه البشاعة قبل اليوم .

- انه شئ بشع حقا ... واظن ان لهذه اليد المقطوعة معنى خاصا عند عم عميلتنا . ما رأيك فيها ؟ .

انحنيت فوق اليد ورحت افحصها بقدر ما استطيع دون أن انقلها من مكانها وقلت أخيرا : انها اليد اليمنى لرجل في نحو الاربعين من عمره أو أكثر قليلا من ذلك وهي سمراء البشرة ، ليس من أثر الشمس ولكن لعلها لرجل أسيوى .

- هذا صحيح .... وأظافرة نظيفة وجميلة . وهذا دليل على أن الرجل لم يكن يفعل شيئا تقريبا . وأصابعها رقيقة .... منذ متى تظن أنها قطعت ؟ .

- من الصعب تحديد ذلك من غير أجهزة علمية .

- هل يمكن أن تكون قد بترت أثناء وجود الكولونيل في ملقا؟

– اظن ذلك . ولكن ما معناها عند الكولونيل مورلاند ؟ .

– أه يا باركر ، عندما نستطيع الرد على هذا السؤال فسنعرف لماذا أرسلت اليه .

وابتسم متجهما وقال : اظن انها تشير الى حقبة مظلمة من ماضيه . انه اعتزل الخدمة وهو فى الخامسة والخمسين . اليس هذا وقتا مبكرا ؟

– ربما اضطرته صحته الى ذلك . أو سلوكه ؟

– ان مس مورلاند تقول عنه انه مثال للاستقامة . ان هذا باعثا للتعنيف والتوبيخ .

ومس الشريط الحريرى بأصبعه قائلا : وما رأيك فى هذا يا باركر ؟ .

– اعتقد ان اللون الأبيض هو لون الحداد فى آسيا .

قال بونس : ان الشريط جديد .

لم يسعنى إلا أن اقول : هذا أمر بسيط . استطيع ان ابدى أسبابا كثيرة لذلك ، ولكن الذى يهمنا قبل كل شئ هو سبب وجود هذه اليد . اظن ان صاحبها ظل محتفظا بها طوال حياته .

قلت : يبدو هذا معقولا . انها حفظت بعناية كبيرة . اتظن ان صاحبها ليس على قيد الحياة ؟ . (تقريبا .

– هذا مالم يكن لارسالها معنى أو دافعا لانجاز شئ ما .

– هذا أمر مضحك .

– ومع ذلك فقد كان لها معناها عند الكولونيل مورلاند . وقد تكون بشعة ولكنها ليست بالطبع من البشاعة لتتسبب فى اغماء رجل عادى سليم بمجرد رؤيته لها . انها تذكرنى بتلك التقاليد

التافهة المعروفة بيد المجد أو باليد الساحرة المتحركة التى تذهب لانجاز اغراض صاحبها حتى بعد مصرعه .

- هراء وأوهام .

- ان الكولونيل مورلاند يعتقد على الأقل أن حياته فى خطر وان التهديد يأتى من الملايو . لنفحص كشف السفن التى أتت من الملايو فى الأيام الأخيرة قبل أن تعود عميلتنا .

وكنا قد فرغنا من فحص كشف السفن التى قدمت الى انجلترا فى الأيام الخمسة الأخيرة قبل أن تعود عميلتنا من غرفة جونسون . وتحققنا انه لم تأت أية سفينة من الملايو الى انجلترا خلال هذه الايام الخمسة ولكن كان من المتوقع أن ترسو سفينة خلال الأربع والعشرين ساعة القادمة . وعندما جاءت مس مورلاند القى بونس بالأوراق جانبا وقال يخاطب صاحبة البيت التى تحولت لتعود الى غرفتها .

- شكرا لك يا مسز جونسون . والآن ، اسمحى لى يا مس مورلاند ..... سؤال أو سؤلان ..... تفضلى بالجلوس .

وكانت مس مورلاند قد هدأت كثيرا ولكنها جلست فى مقعدها السابق والقلق يساورها وانتظرت . وقال بونس :

-عندما عاد عمك الى وعيه ، هل قال أو فعل شيئا له معنى خاص ؟ .

أجابت : لم ينطق بكلمة واحدة . كان شاحبا جدا ، ونظر الى الصندوق وبدا عليه الارتياح عندما رآه مغلقا والتقطة على الفور . وقد سألته أن كان بخير فأجابنى بأنه أصيب بدوار بسيط وطلب

منى ان امضى وأن اتركه وتركته بعد أن تأكدت انه على ما يرام . وأسرع هو الى مخدعه وخبأ الصندوق فيه لأنه عاد الى بعد دقائق دونه . ثم أغلق غرفة المكتب عليه . وفى خلال ساعتين أقبل محاميه ، ولا ريب أنه استدعاه لأن مستر هاريس ما كان ليأتى فى مثل هذه الساعة من تلقاء نفسه .

– ولكنك عثرت على الصندوق بعد ذلك يا مس مورلاند ؟ .

– ان غرفة عمى بها دولاب ومكتب وصندوق كبير رافقه فى كل رحلاته . وكان قد التحق بالبحرية الملكية وقضى بها مدة قصيرة قبل ان يلتحق بوزارة الخارجية . وقد صنع الصندوق فى ذلك الوقت . وكنت أعلم أن صندوق الفسيفساء لابد أن يكون فى أحد هذه المواضع الثلاثة وقد وجدته مخبوءا ، بعناية كبيرة فى الصندوق الكبير بينما كان مجتمعا فى مكتبه بمستر هاريس . وفى نحو الساعة الحادية عشرة وبعد أن أوى الى فراشه تسللت وأخذت الصندوق لكى آتى به اليك حتى لا أجازف بايقاظ عمى إذا أخذته صباح اليوم .

– هل تحدث عمك عن الصندوق مع أى أحد .

– لا أدرى يا مستر بونس . ولكننى أظن أنه لو كان قد تحدث عنه لمستر هاريس لعرضه عليه . ولكن عمى لم يفارق غرفة مكتبة لحظة واحدة طوال فترة اجتماعه بمستر هاريس . ولهذا لا أظن أنه تحدث اليه عنه .

– آه . أظن اذن يا مس مورلاند أن فرصتنا الوحيدة هى ان نسأل عمك الاسئلة التى لا تستطيعين الرد عليها .

رفعت عميلتنا يديها من حجرها وارتسم اليأس فى عينيها وقالت .

– أوه . أنني أخاف مما قد يقوله عمي .

– أن حياة عمك في خطر شديد يا مس مورلاند ، ومن الواضح أنه يعرف ذلك وهو لا يستطيع أن يفعل أكثر من أن يرفض مقابلتنا ولن يمكنه طبعا أن يستاء منك لأنك تريدين اسداء خدمة له .

وعادت يداها الى حجرها وهي تقول – هذا صحيح .

نظر بونس الى الساعة وقال : ان الساعة الآن التاسعة . ويمكننا أن نستقبل مترو الانفاق من شارع بيكر وان نصل الى واتفورد جنكشون قبل مضى ساعة ولنترك الصندوق هنا ، اذا سمحت .

بقيت عميلتنا لحظة يتنازعها التردد ثم ضمت شفتيها في اصرار ونهضت واقفة وقالت : حسنا يا بونس . ان اقصى ما يستطيع عمي ان يفعله هو أن يزجرني .

وفيما كنا نقترب من قصر مورلاند في العربة التي أخذناها من محطة واتفورد جنكشون زاد تجهم وجه بونس وقال : اظن اننا جئنا متأخرين يا مس مورلاند .

صاحت عميلتنا : أوه يا مستر بونس .... لم تقول ذلك ؟ .

– لقد مرت بنا أربع سيارات من سيارات البوليس اثنتان ذاهبتان واثنتان عائدتان وانه ليدهشني جدا ان نجد رجال البوليس في قصر مورلاند .

اطبقت مس مورلاند بمنديلها على فمها حتى لا تصيح . ولم يكن بونس مخطئا فقد رأينا سيارتين من سيارات البوليس أمام السور الكبير الذي يؤدي الى قصر مورلاند وقد وقف شرطي بجوار الباب . وهمس بونس يقول : الشرطي ميكر .

وعندما دنت العربة من القصر تقدم ميكر ليوقفها ولكن ذراعه هبطت الى جنبه عندما رأى بونس يهبط منها وصاح :

- مستر بونس .... كيف عرفت هكذا حالا ؟

ولكنه لم يلبث أن رأى عميلتنا فاستطرد : هل أنت مس فلورا مورلاند ؟ .

قالت الفتاة : نعم . أرجو أن تخبرني بما حدث .

- ان المفتش جامسون يبحث عنك يا مس مورلاند تفضلي معي.

ولكن بونس تدخل قائلا : خل عنك يا ميكر سأرافقها أنا .

- حسنا يا سيدي . شكرا لد .

وهز رأسه مقطبا وتمتم : انها جريمة بشعة يا سيدى ...... بشعة جدا .

وقفت عميلتنا لحظة ويدها ترتجف على ذراع بونس وقال هذا الأخير فى رفق :

- أخشى ان يكون عمك قد مات يا مس مورلاند .

وأجتزنا طرقة صغيرة يحوطها سياج من الأشجار أفضت بنا الى بيت ريفى مبنى على الطراز الجورجى من طابقين ونصف . وكان الباب العمومى مفتوحا على مصراعيه وقد وقف بداخله المفتش سيمور جامبسون ، أحد مفتشى ادارة سكوتلانديارد وكان يتحدث مع شرطى آخر وتحول الينا عابسا وقال : مستر بونس .... البوليس السرى الخاص ! . هل تشم رائحة الجرائم ؟

ثم وقعت عيناه على الفتاة فقال : آه مس فلورا مورلاند ..... كنت أبحث عنك .

قالت تسأله : ما الذى حدث ؟ (ألا تعرفين ؟ (كلا .

قال جاميسون فى برود : وجد الكولونيل مورلاند قتيلا فى فراشه . كان الباب مقفلا وكذلك النوافذ ولم نجدك أنت . أرجو أن تأتى معى الى غرفة المكتبة يا مس مورلاند .

قال بونس : أود أن أرى غرفة المخدع إذا سمحت لى يا جامبسون .

– لك ذلك.ان المصور لا يزال يقوم بعمله هناك ولكنه سيفرغ حالا .انها فى آخر البهو ثالث غرفة الى اليسار بالقرب من السلم .

رمت عميلتنا بونس بنظرة كلها توسل ورجاء فابتسم لها مطمئنا فاستدارت ومضت برفقة المفتش جامبسون الى غرفة المكتبة ، وكانت على اليمين .

ومضى بونس الى مخدع الكولونيل مورلاند ، وكان المصور لا يزال موجودا فيها . وطالعنا منظر بشع فقد كان الكولونيل مورلاند ، وهو رجل طويل القامة عريض الكتفين . طريحا فوق الفراش وقد غاب فى قلبه خنجر حتى المقبض . وابشع من ذلك أن يده اليمنى بترت عند المعصم وبقيت حيث وقعت فى بركة من الدماء فوق الفراش نفسه وانبثق الدم من شفتى القتيل ولوث شفتيه وارتسمت فى عينيه الواسعتين الجاحظتين كل امارات الذعر الشديد .

كانت الغرفة فى حالة يرثى لها من الفوضى فإن القاتل قد بعثر كل شئ وكان الصندوق الكبير مفتوحا وقد أخرج منه كل ما كان فيه والقى فوق الأرض وكانت ادراج المكتب فيما عدا الدرج

العلوى الصغير مفتوحة وقد افرغت من كل محتوياتها وكذلك افرغ دولاب الملابس من كل ما فيه حتى الرفوف العلوية وضع القاتل مخدة بجوار الدولاب ووقف عليها وافرغ الرفوف من كل ما فيها . ودهشت لبرود بونس وعدم مبالاته وهو يدير البصر فى الغرفة فاحصا .

وكان المصور قد فرغ من عمله وانصرف وتحول بونس الى وقال : منذ متى تعتقد أنه مات يا باركر ؟

تقدمت في حذر وقمت بفحص سريع ثم قلت : منذ ثماني ساعات على الأقل واظن ان ذلك قد حدث فيما بين منتصف الليل والساعة الثانية .... ليس قبل ذلك وليس بعد ذلك بكثير .

تمتم بونس : أى قبل أن تغادر عميلتنا القصر .

ووقف لحظة حيث هو ثم تقدم فى حذر الى الفراش ونظر الى جثة الكولونيل مورلاند وقال : يبدو أن القاتل لم يحاول اخراج الخنجر بعد أن طعن به الكولونيل وهذا يدل على أنه كان يحمل سلاحا آخر قطع به يد القتيل وقد قطع اليد بضربة واحدة .

وابتعد عن الفراش وأخذ ينتقل فى حذر بين الأشياء المبعثرة دون أن يطأ شيئا منها بقدميه ومضى رأسا الى المكتب وكان من الواضح ان القاتل لم يلمس شيئا مما فوقه لأننى رأيت فوقه ساعة القتيل ومحفظته . وكانت المحفظة أول شئ آثار اهتمام بونس فأخذها وفحص محتوياتها وتمتم :

– سبعة وعشرون جنيها .

قلت : هذا دليل على أنه لم يكن يبحث عن نقود .

هز بونس رأسه فى ضيق وقال : كلا يا باركر . انه كان يبحث عن صندوق الفسيفساء فهو لم يلمس شيئا مما فوق المكتب لأن الصندوق لو كان فوقه لرآه على الفور ، وهو لم يفتح الدرج العلوى لأنه ليس من العمق بحيث يكفى لكى يضم الصندوق .

ومضى فى حذر الى ناحية من الفراش متجنبا بركة الدماء التى سالت من المعصم المقطوع وقال : « لا شك فى أن القاتل وقف هنا » . وجثا على ركبتيه وفحص السجادة فى دقة وقد اعاقته الدماء فى بحثه شيئا ما ولكننى رأيت من الوميض الذى ومض فى عينيه فجأة انه رأى شيئا له معناه وأن لم استطع أنا أن أراه لأنه تمتم فى ارتياح والتقط شيئا من فوق السجادة ووضعه فى مظروفين صغيرين من تلك الظروف التى يحملها معه دائما .

وبينما هو ينهض دخل المفتش جامبسون وقال فى لهجة من يفشى سرا : سيحزنك أن تعلم اننى أرسلت مس رولاند الى ادارة اسكوتلانديارد لاستجوابها .

قال بونس : حقا ؟ ... هذا اجراء مدهش وعاجل ولا مبرر له . هل لديك من الأسباب ما يحملك على الظن بأنها متورطة فى هذه الجريمة .

أجاب جامبسون فى خيلاء : أى صديقى العزيز .... انظر الى الوقائع ... ان كل نوافذ البيت وأبوابه كانت موصدة ، وأربعة أشخاص فقط معهم مفاتيحه : الكولونيل مورلاند وقد وجدنا مفاتيحه بجوار فراشه وخادمه وكان وصيفا له فى ملقا وهو الذى اكتشف الجثة ومديرة البيت ومس مورلاند ، وكل منهم معه مفاتيحه

الخاصة ولم يغتصب أي باب أو أية نافذة وقد أسر لي مستر هاريس المحامي بأن مس مورلاند سترث ٦٠ ٪ من أملاك كبيرة .... كبيرة جدا بعد دفع ضريبة التركات .

– الم تر أن اغلاق ابواب القصر ونوافذه في مثل هذه الليلة الخانقة الحر له معناه ؟ .

أجاب جامبسون عابسا : لن تستطيع أن تثير دهشتي في هذه الناحية فاننا نعرف كل شئ فيما يتعلق بصندوق الفسيفساء . كان مورلاند يخشى علي حياته .

– اذن فأنت تعتقد أن مس مورلاند تسللت الى الغرفة وطعنت عمها وقطعت يده اليمنى وفتشت الغرفة الى ان عثرت على الصندوق ثم أسرعت الى تطلب معونتي ؟

تقريبا . فانها من القوة بحيث يمكن أن تغيب الخنجر في قلبه

قال بونس في جفاء : تقريبا .

– ولكن ليس هناك ما يمنعها من أن تلجأ الى شريك .

– وماهو الدافع الذى يدفعها الى بتر يد عمها ؟

– ليس هناك أفضل من هذه الطريقة لعرقلة التحقيق والتخبط في الدافع لمثل هذه الجريمة البشعة .

– وهل تبدو لك مس رولاند بعد حديثك معها من ذلك النوع من الفتيات اللاتى يمكن أن يرتكبن مثل هذه الجريمة .

– أرى يا بونس أنك لا تستطيع مقاومة الجنس اللطيف .

– وأنا أرى أن هذا اجراء معقد جدا لا لشئ الا للحصول على ثروة سوف تؤول اليها .... كلا يا جامبسون ان هذا غير معقول .

- تقول ان صندوق الفسيفساء معك ؟ .... سوف نحتاج اليه .

- أرسل الى رسولا لكى يأخذه ولكن أرجو أن تتركه معى اليوم على الأقل .

- لك ذلك .

- اظن انك استجوبت الخدم .هل سمع أحدهم أى شئ بالليل؟

ابدا . واستطيع أن اقول لك أن الكلب الذى يرقد خارج الباب العمومي عادة لم ينبح ابدا . واظنك تدرك معنى هذا .

معناه ان القاتل دخل أو أنه كان بالداخل .من الباب الخلفى .

احمر لون جامبسون وقال محتدا : مادام الكلب لم ينبح أثناء الليل فإن المعنى من ذلك أن القاتل معروف له .

ضحك بونس وقال : لا يجب أن تطبق النظريات التى تقرأها فى قصص مستر أرثر كونان دويل يا صديقى .

قال جامبسون فى سخرية لاذعة : أحسبك ستقول انه يجب أن نبحث عن رجل طويل القامة استطاع أن يستميل الكلب اليه .

- بل على العكس يجب أن تبحث عن رجل قصير القامة رشيق الحركة ارتكب جريمته وهو حافى القدمين .

وأشار الى الوسادة التى لا تكاد تلحظ وقال : ان رجلا أقصر من المعتاد هو وحدة الذى يضطر الى الوقوف على هذه الوسادة لكى تبلغ يده الرف العلوى للدولاب . وانبعاج السجادة بجوار

الفراش يدل على أن الوسادة مكانها هناك وأن القاتل نقلها بجوار الدولاب.

نظر جامبسون الى الوسادة ثم عاد فنظر الى بونس وقد قطب وجهه وقال هذا الأخير : إذا كنت لا تمانع يا جامبسون فأنني أحب أن ألقي نظرة الى الخارج وإذا استطعت أن تعود بنا في أحدى سيارات البوليس بعد ذلك فأنني أكون شاكرا لك .

– لا مانع يا بونس .

وتقدمنا جامبسون ومضى نحو السلم وانتقلنا الى طرقة صغيرة تؤدى الى غرفة الخدم على اليمين والى غرفة الخزين على اليسار ، وفي آخرها باب خلفي يفضي الى الفناء الخلفي للقصر . وكانت الخادمة جالسة بالمطبخ ومعها امرأة عجوز محمرة العينين كان واضحا أنها مدبرة البيت . وتردد جامبسون لحظة وهو يظن أن بونس يريد أن يتحدث اليهما ولكن هذا الآخر أولى كل اهتمامه الى الباب الخلفي فمشى اليه وانحنى فوق القفل فاحصا .

قال جامبسون وفي صوته رنة تدل على فروغ الصبر : أننا قمنا بكل هذا يا بونس .

وخرجنا الى الفناء وانحنى بونس ليفحص العتبة ثم جثا على ركبتيه وزحف على أربع الى الطرقة المرصوفة التي أمام الباب . ومن مكان منها أخذ قاذورة وضعها في ظرف وأشار الى مكان آخر دون أن ينطق فأسرع جامبسون اليه حيث رأى أثر قدم حافية لرجل .

ونهض يونس واقفا بعد ذلك وعاد الى البيت وأنا وجامبسون فى أعقابة ورأى دليل التليفون فراح يقلب فيه لحظة ثم قال أنه مستعد للانصراف إذا رضى جامبسون أن يعيرنا عربة مع سائقها..

وسألت يونس ونحن فى مترو النفق مرة أخرى :الا نعود الى البيت؟

– كلا يا باركر . يسرنى أن أرى كيف تقرأ أفكارى بسهولة . استطيع أن أقول لك أننا لا يجب أن نفقد أية لحظة فى البحث عن سر صندوق الفسيفساء والآن وقد مات الكولونيل فأننا سنذهب الى نيقولاس مورلاند فلعله يستطيع أن يفسر لنا ذلك . ولا ريب انك تذكر انه قضى خمس سنوات فى الملايو مع عمه . ان له مكتبا فى التامبل وقد بحثت عن عنوانه فى دليل التليفونات قبل أن نغادر قصر مورلاند .

قلت : فهمت تعليلك لقامة القاتل ولكننى لم أفهم ابدا كيف عرفت أنه حافى القدمين .

– كان هناك على السجادة بجوار الفراش تماما فى المكان الذى أمكن للقاتل أن يقف فيه لكى يضرب ضربته القاتلة ثلاث ذرات من القانورات يوحى منظرها على أنها تخلفت من أصابع ثلاثة لقدم عارية . ولا ريب أن تلك القاذورات تعلقت بأصابع القدم فى الطرقة المرصوفة التى تقع أمام الباب الخلفى

– ولكن جاميسون أشار الى الكلب .

ابتسم بونس ابتسامة غامضة وقال : ان الكلب لم يفعل شيئا .... حسنا جدا ..... أما أنه يعرف القاتل وأما أنه لم يسمعه وهذا جائز فإن الرجل الحافى القدمين يمكنه أن يتحرك دون أن يصدر منه صوت ولكن تأمل اليد المقطوعة وقل لى رأيك فيها مادمت تهتم بالاستنتاج كل هذا الاهتمام .

قلت : – لا تستشيرنى . اظن أن الكولونيل تسبب فى أهانة شخص ما فى الماضى وأن هذا الشخص قد عاد لكى ينتقم .

صاح بونس : عظيم ...... عظيم .... يمكنك أن تستمر أيها العزيز . وأستطيع الآن أن أفكر فى الاعتزال .

صحت : انك تهزأ بى .

– ابدا . لا يسعنى إلا أن اقرك على هذا . هناك نقطة أو نقطتان تثيران حيراتى ولكن لا شك عندى فى أننى سأهتدى الى حقيقتها فى الوقت المناسب .

وقضى بونس بقية الرحلة يفكر فى صمت وقد اطبق عينيه وهو يداعب شحمة اذنه بسبابة يده اليمنى وابهامها . ولم يفتح عينيه حتى بلغنا محطة تأميل .

كان نيقولاس مورلاند فى أوائل الأربعين وكان متحفظا فى ثيابه ولكنها تدل على مركزه وفيما عدا اختلاف السن كان يشبه عمه فقد كان له نفس الشاربين ونفس الشفتين المضمومتين كانتا

تدلان على الحزم والحاجبين الكثيفين . وكان مظهره البارد سطحيا لانه لم يلبث ان انهار وهو يستمع الى الموجز الدقيق للأحداث الذى عرضه بونس عليه ، ونضج جبينه بالعرق وراح يسيل على صدغيه .

واختتم بونس حديثه قائلا : ونحن نعتمد عليك يا مستر مورلاند لكى توضح لنا معنى صندوق الفسيفساء وما فيه .

وقف مورلاند على قدميه وهو يرتعش ثم راح يسير جيئة وذهابا فى مكتبه وهو يعض على شفته واخيرا قال :

– هو شئ كنت أرجو أن لا أتحدث عنه ..... هل من الضرورى أن اتكلم يا مستر بونس ؟

– نعم يا مستر مورلاند . ان سكوتلانديارد مهتمه بأن تعرفه بالذات وقد سبقتهم أنا اليك لأننى أعمل لصالح ابنة عمك .

– طبعا . أننى أفهم .

وأخذ يروح ويجئ فى مكتبه مرة أخرى ثم جلس أخيرا وراح يجفف جبينه بمنديله ثم قال :

– حسنا يا مستر بونس . هو أمر لا يشرف عمى ابدا . وكما أظن أن فلورا قالت لك فإن عمى تزوج بامراة أسيوية ..... امراة جميلة جدا . أصغر منه بعشر سنوات ..... ربما بخمس عشرة سنة .... لست واثقا من ذلك ولكننى أظن أن زوجتى تعرف ، ومن الجائز أنه كانت لها صلة غير لائقة ببندارلو على ، وهو عم زوجتى

أنا بالذات . وينتمى الى أسرة من أعرق الاسرات فى الملايو وعمل عمى على تفادى الفضيحة فماتت زوجته . وهناك بعض الأسباب التي تحمل على الاعتقاد بأنها ماتت مسمومة بيد عمى ، وقد القى القبض على عشيقها وعثر فى بيته على بعض مقتنيات عمى فاتهم بسرقتها لا لشئ إلا لأنها وجدت فى بيته وادين وحكم عليه بقطع يده اليمنى حتى المعصم . هذه هى القصة كلها يا سيدى .

– ومتى حدث هذا يا مستر موورلاند ؟

– قبل أن يعود الى الوطن بشهر أو شهرين فإن سلطان ملقا لم يرق له الأمر على الرغم من أنه أيد الحكم . وقد استنكره فيما بعد وطلب من الحكومة الانجليزية استدعاء المقيم . ولم يسع الحكومة إلا أن تستجيب له فأبعدت المقيم عن وظيفته .

– كان ذلك منذ خمس عشرة سنة ولكن هل من المعقول أن ينتظر كل هذه المدة لكى ينتقم .

– ليس هو يا مستر بونس فإنه مات منذ ثلاثة شهور . واظن أن ابن بندارلو على رأى أن ينتقم لشرف الأسرة وللاهانة التى لحقت به .

لزم بونس الصمت بضع لحظات وهو مستغرق فى التفكير ثم قال : أنك تعرف طبعا أنك سترث ثروة عمك مع ابنة عملك ؟

أوه ، نعم فليس هناك أحد آخر غيرنا . اننا أسرة صغيرة وما لم تتزوج فلورا فستنطفى الأسرة كلها . أوه هناك بعض الأقارب البعيدون ولكن الصلة مفقودة بيننا وبينهم منذ سنوات كثيرة .

وهز كتفيه واستطرد : ولكن ليس لهذا أية أهمية فإن مكتبى يفى بكل احتياجاتنا وأن كنت اظن أن زوجتى سترحب بذلك لأنها ستجد الفرصة لتجديد وتوسيع محلها .

صلصل جرس التليفون فجأة فرفع مورلاند السماعة الى اذنه واصغى لحظة ثم أعادها قائلا : أن البوليس قادم يا مستر بونس .

نهض بونس على قدميه فى نشاط وقال : ثمة سؤال آخر يا مستر مورلاند . هل كانت علاقتك بعمك قائمة على الود أم لا ؟

– اننا كنا نتناول العشاء نحن الثلاثة على مائدته مرة كل شهر يا مستر بونس .

– انتم الثلاثة ؟ (أنا وزوجتى وابن عم لها يقيم معنا ، وما كان عمى ليستثنيه طبعا .

– شكرا لك يا سيدى .

وانصرفنا وخرج بونس وفى ذهنه وجهة خاصة وبعد بضع دقائق كنا فى مترو الانفاق . وانطلقنا فى صمت حتى بلغنا محطة ترافلجار ، ومضينا الى ميدان ستراند .

وقلت وقد ساءنى صمته : بونس ...... لقد شارف الوقت على الظهر الآن فماذا نفعل هنا ؟

– أه ...... تذرع بالصبر يا باركر .... ان ميدان الستراند منطقة من أجمل المناطق فى بلدنا وأريد أن اتسكع واشترى بعض السلع .

ومشـينا فى ميدان الســتراند حتى بلغنا محـلا صـغيرا تدل لافـتـتـه على أنه يبيـع العـاديات القـديمة والسـلع المستوردة .

- أه . ها نحن قد وصلنا . أرجو يا باركر ان تحتفظ ببرودك فإن من عادتك أن تنم ملامحك عما يعتمل بك .

وإذ فرغ من قوله دخل المحل . ورن جرس فى غرفة خلفية فخرج منها شاب أنيق أسمر البشرة لا يبدو عليه السن ، أقبل الينا وانحنى أمامنا . كان يبدو أكبر من الغلام بقليل ولكنه لم يكن بغلام وابتسم لنا كاشفا عن أسنانه البيضاء وقال هل من خدمة استطيع أن أقدمها لكما ؟

سأله بونس فى ايجاز · هل أنت صاحب المحل ؟

- كلا يا سيدى .... أنا أحمد . اننى أعمل مع مسز مورلاند .

قال بونس : اننى أبحث عن صندوق من الفسيفساء .

- أه . هل تريد صندوقا له حجم معين ؟

قال بونس : أه .... كلا .

ووصف له حجم الصندوق الذى احضرته له مس مورلاند .

- هكذا ...... لحظة واحدة من فضلك .

واسرع الى الغرفة الخلفية ولكنه لم يلبث أن خرج بعد لحظات قلائل وهو يحمل صندوقا من الفسيفساء قدمه لبونس قائلا ؟ .

- أنه يرجع الى القرن السابع عشر يا سيدى .... تحفة من الفن الايطالى .... اظن أن هذا هو الصندوق الذى تريده .

قال بونس:أنه صندوق جميل طبعا ولكنه ليس النوع الذى أريده بالذات أن حجمة على مايرام ولكننى اريد صندوقا له نقوش شرقية.

قال أحمد : ولكن ليست هناك صناديق شرقية قديمة من هذا النوع ..... انني أسف .

قال بونس:انني لا أريد صندوقا قديما . أنني أعرف طبعا ان صناديق الفسيفساء لم تعرف في الشرق قبل القرن الثامن عشر.

تلألأ وجه أحمد وقال : أه ..... اذا كان الأمر كذلك فإن لدى شيئا لك .

واختفى مرة أخرى فى الغرفة الخلفية . وعندما عاد هذه المرة كان يحمل صندوقا آخر ناوله لبونس وهو يبتسم ابتسامة الانتصار ثم ارتد الى الخلف منتظرا رأى بونس .

راح هذا الاخير يقلب الصندوق بين يديه فاحصا ففتحه وشمه وتحسسه بأصابعه ثم ابتسم وقال : ممتاز ! . . هذا هو ما أريد يا صديقى . كم ثمنه ؟ (عشرة جنيهات يا سيدى .

دفع بونس الثمن بدون تردد وهو يقول : أرجو أن تغلفه لى بعناية تامة فلا أريد أن تتلف نقوشه .

ابتسم أحمد مغتبطا وقال : هل تحب الفسيفساء يا سيدى ؟

قال بونس فى شئ من التفخيم : أيها الشاب أن لى دراية بمثل هذه الأشياء وهذا الصندوق من أحسن الصناديق التى رأيتها من هذا النوع .

ارتد أحمد الى الخلف وهو ينحني وقد تلألأ وجهه ثم أسرع الى الغرفة الخلفية ومنها سمعنا صوت حفيف الورق . وبعد خمس دقائق ظهر أحمد وأعطى الصندوق المغلف لبونس . وكان وجهه لا يزال يتلألأ سرورا ، ومع ذلك فقد بدا أنه يتلهف لأن يقول شيئا منعه الذوق من النطق به .

خرج بونس من المحل مبتهجا . ولكنه ما أن ألقى نفسه في الشارع حتى استدعى سيارة ركبها في نشاط وهو يذكر للسائق عنوان شارع برايد .

سألته ونحن في الطريق : ألم يخامرك احساس بأن أحمد كان يريد أن يقول لك شيئا ! (- آه . أنه قال لنا كل شئ .

وتألقت عيناه سرورا واستطرد : أن أحمد فنان في صناعة الفسيفساء وأظنك رأيت العاديات الثمينة المعروضة داخل المحل ؟

- نعم

- ألا توحي اليك بشئ ما ؟

- بأن تجارتها رائجة كما قالت لنا مس مورلاند .

وربت بأصابعي على الربطة التي يمسكها بونس وقلت : ألا يبدو لك هذا الصندوق شديد الشبه بصندوق مس مورلاند ؟

ابتسم بونس : ما أن تم صنع صندوق حتى أخذت له قوالب وأصبح نموذجا من السهل عمل صناديق اخرى على نمطه . وكلها تتشابه طبعا .

وعدنا الى البيت . وأزال بونس في عناية أوراق التغليف عن الصندوق الذى اشتراه ثم وضعه بجوار الصندوق الذى جاءتنا به

مس مورلاند . كانا متشابهين فى كل النقاط فيما عدا فارق المدة طبعاً . وفحص بونس الصندوقين فى اهتمام كبير بحثا عن اقل اختلاف بينهما .

وسألته أخيرا : هل هما متشابهان أم لا ؟

– ليس تماما . ان الصندوق الذى جاءتنا به مس مورلاند صنع منذ خمسة وسبعين سنة على الأقل وربما مائة سنة ، وقد صنع من نفس نوع الخشب الثمين الذى تصنع منه الملايو مقابض السيوف والخناجر والذى صنع منه مقبض الخنجر الذى قتل به الكولونيل مورلاند . وقد صقل ولمع أكثر من مرة وهناك بعض الشقوق الظاهرة فى جوانبه . أما الصندوق الآخر فقد صنعه صانع ماهر على غرار الصندوق الأول وأعتقد أن هناك طلبات كثيرة لمثل هذا النوع من السلع ولا شك عندى أنها موجودة فى كل المحلات المخصصة لبيع السلع المستوردة .

وأبعد الصندوق بأصبعه وقال : ولكن ، لنر الآن ما الذى حصلنا عليه من مخدع الكولونيل مورلاند .

ومضى الى ركن من الغرفة يحتفظ فيه بمعداته الكيماوية وبدأ يفحص محتويات الظروف التى جاء بها من قصر مورلاند . كانت هناك ثلاثة منها ، وكان من الواضح انها ستشغله بعض الوقت وكان لابد لى من زيارة مريض فى الساعة الثانية فاعتذرت .

وعندما عدت قبل مضى الساعة وجدت بونس ينتظر مترقبا . وقال : أه يا باركر ..... اظن أنه ليس هناك ما يشغلك بعد ظهر اليوم . انني انتظر قدوم جامبسون وربما استطعنا ان ننهى ازعاج سكوتلانديارد لعميلتنا .

سألته : هل علمت أى شئ من هذه القانورات ؟

– تأكدت مما كنت أشتبه فيه فحسب . فإن ذرات القذارة

الموجودة فوق السجادة بجوار الفراش كانت مشابهة لتلك التى التقطتها من الممر المرصوف ومما لاريب فيه انها انتقلت الى داخل البيت مع أصابع قدمى القاتل والاكثر من ذلك كانت هناك تحت الفراش نشارة الخشب الذى يستعمله أهالى الملايو .

قلت : هذا يدل على أننا مازلنا مرتبطين بماضى الكولونيل مورلاند .

قال بونس فى هدوء : اننا لم نبتعد عنه ابدا . ولكن إذا لم تكشف سكوتلانديارد خلال التحقيق بصمات القاتل فوق مقبض الخنجر فستكون القرائن التى بين أيدينا مبنية على افتراضات غير أكيدة وان من الخير طبعا أن نعرف شخصية القاتل ولكن كيف السبيل الى خداعه لادانته آه ..... أننى اسمع صوت سيارة تقف أمام البيت . لا ريب أنه جامبسون .

وماهى إلا لحظة حتى انفتح الباب العمومى وسمعنا وقع اقدام تهبط السلم . ودخل المفتش فى حذر وفى يده ربطة صغيرة اعطاها لبونس فى ارتياح كبير وهو يقول :

– هاك ما تريد يا بونس .... اننى جئتك بها على مضض .

صاح بونس : عظيم ! وأخذ منه الربطة ووضعها فى الصندوق الذى اشتراه من محل الستراند ثم قال :

– لا أظنك تحمل سلاحا يا جامبسون .

بدأ جامبسون يقول : ان تقاليد سكوتلانديارد .

ولكن بونس قاطعة قائلا : نعم ، نعم ..... أننى أعرف . هات مسدسى يا باركر . وذهبت الى مخدعة وكان مسدسه موضوعا فوق المكتب فأخذته وقال بونس حين عدت به :

اعطه لجامبسون .

قال المفتش وقد ارتسم الشك في وجهه : لا أدرى ماذا تنوى أن تفعل لا شك أن هذه الفتاة قد ادارت رأسك .

وكان يونس قد وضع ما بداخل الربطة فى صندوق الفسيفساء الذى اشتراه من محل يونس وأعاد تغليفه بنفس الورق الذى استخدمه أحمد فى تغليفه من قبل .

– هلم بنا الآن . اننى أريد أن أقوم بتجربة يا جامبسون وأقول لك صراحة أنها قد لا تفلح .

وكانت وجهتنا محل بيع السلع المستوردة فى الستراند ولم ينطق يونس بشئ طوال الطريق وانما راح يصفى وعلى شفتيه ابتسامة ساخرة الى حديث المفتش عن الظروف التى تشير الى أن عميلتنا هى التى قتلت عمها .

وعندما اقتربنا من المحل تكلم يونس لأول مرة فقال للشرطى الذى يقود السيارة ان يقف سواء قبل المحل أو بعده بقليل . واطاعة ميكر وأوقف السيارة قبل المحل ببضعة أمتار وقال يونس فجأة وهو يخرج من العربة .

– احتفظ بمسدسك على أتم الاستعداد وحاول ان تتخلى عن هيئتك البوليسية فانه شاب ذكى ماكر .

وتقدم يونس الى المحل وهو يحمل صندوق الفسيفساء المغلف الذى اشتراه منذ ساعات قلائل واسرعت امراة اسيوية لاستقبالنا . لم تكن تظهر عليها معالم عمرها هى الأخرى .... كان يمكن أن تكون بين العشرين والأربعين ولكن مما لا شك فيه انها لم تكن قد تجاوزت الثلاثين وقالت :

- هل من خدمة استطيع أن اقدمها لكم أيها السادة .

قال بونس وهو يزيل الورق عن الصندوق : اين الشاب الذى كان هنا بعد ظهر اليوم .

هزت المرأة رأسها ونادت بصوت مرتفع : أحمد .

وتنحت جانبا واقبل أحمد وفى عينيه نظرة تساؤل مهذبة وعرف بونس ووقعت عيناه على الصندوق فقال :

- سيدى ... هل هناك شئ على غير مايرام ؟

قال بونس : لا بأس من حيث جمال نقوشه ولكن ليس من حيث ما بداخله .

تقدم أحمد فى خفة ونشاط وأخذ الصندوق وازال الأوراق الباقية وهو يقول : سوف نرى .

وانحنى فى تذلل وفتح الصندوق .

وتغيرت ملامحه على الفور بصورة مخيفة فاختفت ابتسامته وزالت عنه رقته وأدبه وحلت محلها نظرات قاتلة . واضطرم وجهه لفرط غضبه وفزعه وأوقع الصندوق فتدحرجت منه يد الكولونيل بيرتون مورلاند المقطوعة . وفى نفس الوقت انتزع من الحائط خنجرا وتحول الى بونس مهددا .

ومرت لحظة قصيرة على هذا الموقف ثم سرت الرعشة فى بدن مسز مورلاند ، وأسرعت اليها قبل أن يغمى عليها . وفى نفس الوقت أخرج المفتش جامبسون المسدس وصوبه نحو أحمد .

قال بونس : اهنيك أيها المفتش فانك القيت القبض الآن على قاتل الكولونيل مورلاند .

وأردف يقـول في رقـة : ولو كنت مكانك لاصطحـبت مـسـز نيقولاس موزلاند معى لاستجوابها عن الدافع المغرض الذى حملها على تحريض أحمد على قتل عم زوجها فاننى اعتقد انها هى العقل المدبر الذى خطط لهذه الجريمة البشعة . هل تعود السيدة الى رشدها يا باركر ؟

قلت : انها فى سبيل ذلك .

قال جامبسون وقد استرد صوته : أدع ميكر .

وأسرع بونس الى الباب ونادى ميكر .

قـال بونس ونحن نعود الى شـارع برليـد عن طريق مـترو الانفاق : .

– كانت هناك حقيقة مؤكدة وهى انه لم تأت أية سفينة من الملايو فى الأيام الأخيرة وبهذا استبعدت فكرة الانتقام . وكانت هناك حقيقة أخرى وهى التى أهتم بها جامبسون فإن القاتل كان على معرفة بقصر مورلاند ، وهذا أمر لا يمكن أن يعرفه أى رجل غريب . ولم يكن هناك ريب فى أن القـاتل اتيـحت له كل الفرص لكى يصنع مفتاحا للباب الخلفى مادام قد أثر ان يدخل منه بدلا من أن يدخل من الباب الذى يرقد الكلب أمامه . ثم أنه لم يمس أى شئ فى القصر فيما عدا غرفة الكولونيل مورلاند ولم يسمع أحد أى صوت عند دخول القاتل أو عند ارتكاب الجريمة .

ومع ذلك فقد كان من الواضح ان القاتل كان على علم بالأهانة التى لحقت ببنـدارلو على . ولم تكن مس مورلاند تعرف شيئا عنها . ولكن ابن عمها كان يعلم بأمرها . ومن المفروض ان تعرف

زوجته بأمرها هى الأخرى لأنها من أسرة بندارلو على ولانها كانت فى الملايو وقت المأساة . ومن المفروض أيضا ان ابن عمها أحمد يعرف القصر وكل ما يحيط به ونشارة الخشب جعلتنى أتاكد كل التاكيد من انه كان فى غرفة الكولونيل مورلاند .

ومن الواضح ان الخطة دبرت ببراعة كبيرة فإن مسز مورلاند أمرت ابن عمها بأن يرسل يد بندارلو على الى الكولونيل مورلاند فى صندوق الفسيفساء الذى استقدمته من الملايو لهذا الغرض . ولم تجد أى خوف من استخدام الصندوق لأنها كانت قد أصدرت تعليماتها لأحمد باسترداده واحضاره معه وقد قتل الكولونيل مورلاند انتقاما لشرف الاسرة بعد موت بندارلو على . ولكننى أعتقد أن مسز نيقولاس مورلاند حرضته على ارتكاب الجريمة مستغلة فكرة الانتقام التى تجيش فى صدره فى حين ان دافعها الحقيقى هو الاستيلاء على ثروة مستر مورلاند كلها وقد اسفر التحقيق فعلا عن صحة هذا الاعتقاد واعترف أحمد بأنه قتل الكولونيل مورلاند بإيعاذ من زوجة نيقولاس وأخلى سبيل الأنسة فلورا ، وكافأت بونز بمكافأة كبيرة .

☆★☆

مازلت أصرخ
بقلم فرنسيس سوان

مازالت أحاول أن أعرف كيف حدث هذا ، ومازلت أقدح زناد فكري وأظل مستيقظا طوال الليل أفكر كيف بدأ هذا الأمر ، ورأيت أخيرا أنني ربما اذا دونت الأحداث حبرا على الورق فقد أستطيع أن أتغلب على ذلك اليأس الأسود . والشيء الوحيد الذي يتعين على أن أقوم به هو أن أتوخى الصدق وان لا أختلق أي شيء أو أن أهول في أي شيء .

لم يكن بينهما أي وفاق وكان في مقدور أي شخص أن يدرك ذلك . كانا يتناقشان ويتجادلان في كل شئ وبدون سبب . كانا يتناقشان فيما يمكن أن يكون عليه الطقس في اليوم التالي . لا لأن أحدهما كان يعرف ذلك عن ثقة ولكنك إذا أصغيت اليهما خطر لك أن كلا منهما خبير في الأمر . كانا يقضيان وقتهما في النزاع والشجار بحيث أنني كنت أسدى اليهما خدمة .

كنت اراهما أكثر من أي شخص آخر طبعا ، لأنني كنت أقيم في البيت الملاصق لهما . وكنت أسمع شجارهما وعراكهما ليلا ونهاراً . فكانا يصفقان الأبواب ويصرخ كل منهما في وجه الآخر ، ولم تكن تريد ذلك ولكن لم يكن يسعها أن تفعل شيئا آخر . وبدأ الأمر يثير أعصابي وبدأت أزورهما ، فقد خطر لي أنني إذا فعلت ذلك كفا عن العراك والشجار أمامي . ولكن ذلك لم يأت بأية نتيجة ،

بل أن من أسباب شجارهما أنها كانت أصغر منه سنا كما لو أن الغلطة فى ذلك غلطتها هى .

وكان قد احيل الى المعاش وجعله هذا يشعر بأنه أكبر منها سنا . وكان يبقى فى البيت طوال الوقت فيما عدا الفترة التى يقضيها فى صيد السمك . وكان يقول ان هذا أحسن شئ يقدم عليه كل من يحال الى المعاش .

وقد أيدته فى ذلك لأننى كنت أقضى كل وقتى فى صيد السمك معه.

ثم خرج بعد ذلك الصيد وحده بضع مرات ، لم ارافقه فيها بل كنت أمضى الى البيت المجاور واتحدث معها . وكنت أجدها عندئذ مختلفة كل الاختلاف فلم تكن تجادلنى أو تناقشنى فاذا قلت لها ان القهوة باردة لا تنطق بكلمة وتكتفى بأن تعيدها فوق الموقد لتسخينها . وكان صوتها رقيقا دائما حلوا به لمسة من الحنان وكنت أدرك تماما انه هو الذى يتسبب فى عدم الانسجام فى البيت . وانه لو اختفى ......

وكنت قد فكرت فى هذا الأمر كثيرا بحيث اننى لم ادهش عندما قالت لى : لو أنه اختفى .... ولم يكن لها ان تقول شيئا أخر بعد ذلك فقد قلت لها أن تسكت وأن تترك كل شئ لى . ما كان لها أن تقول لى ذلك لأننى قلته لنفسى من قبل ، بل اننى قلته لنفسى مرة ، وحدى فى جوف الليل .

ومن حديثى معها عرفت انه اذا حدث له شئ فستظل تتقاضى معاشه طوال حياتها بالاضافة الى مبلغ وثيقة التأمين ، فقد كان مؤمنا على حياته وكان من شروط وثيقة التأمين أن تدفع الشركة المبلغ مزدوجا لورثته إذا مات فى حادث .

ودبرت كل شئ بعناية كبيرة ، فإنها بالمعاش الذى ستتقاضاه مضافا الى معاشى ومبلغ التأمين المزدوج سيتسنى لنا أن نعيش

فى بحبوحة ، ثم أننا لن نحتاج الى الاقامة فى بيتين وأستطيع عندئذ أن أعرض بيتى للايجار وسيأتينى بمبلغ لا بأس به ..... ستكون حياتنا رغدة سعيدة بعد أن نتخلص منه .

وقد قررت أن اتخلص منه نهائيا عندما رأيته يرفع يده عليها ويضربها . وقد نسيت السبب الذى دفعهما الى الشجار عندئذ ولكن يمكنك أن تثق بأنه هو المتسبب فى ذلك . مهما يكن من أمر فقد لطمها على فمها قائلا : - أخرسى .

ولم أقل شيئا فى ذلك الوقت ولكننى نظرت اليه فى غلظة وحدثت نفسى أقول : أنت التى نطقت بها أيها السيد وليس أنا ... ان بالبيت هنا شخصا يجب أن يخرس الى الأبد .

وبدأت أفكر فى الخطة عندئذ . كان يجب أن يبدو الأمر كما لو أن حادثا وقع قضاء وقدرا لكى تحصل على مبلغ التأمين المزدوج . وكان يجب أن أتوخى كل حرص وكل حذر حتى لا يرقى الشك الى وان ادبر الأمر بحيث لا يخطر لأحد أن لى يدا فيه .

وكان أفضل مكان لذلك هو المكان الذى يصطاد فيه . سنكون وحدنا فى القارب ومعنى ذلك هو أن احمله على المجيىء معى فى قاربى . وكان هذا عملا هينا لأنه كان متلهفا نافذ الصبر وكان كل ما على هو أن أحصل على محرك جديد وان أريه له . وكنت أعرف أنه سيحسدنى عندئذ لأننى سأستطيع الوصول الى مكان الصيد قبله بنصف ساعة على الأقل .

. وبعد أن رافقنى مرة افترض أننا نستطيع أن نخرج للصيد معا فى قاربى كلما سنحت الفرصة لذلك . ولم أبال بالأمر لأنه كان جزءا من الخطة فبذلك يعتاد الأهالى على رؤيتنا معا . ولولا أنها كانت جزءا من الخطة فإننى أعتقد أننى ما كنت لادعه يركب معى بعد أول مرة فإنه لم يكن يجلس ويصطاد وانما كان يحلو له أن يجلس ويتحدث . وكان من السهل أن يفهم المرء لماذا لايتفق هو

وزوجته فقد كان صوته يثير الأعصاب بصورة لا يمكن تصورها ، وكان على أن أروض نفسي وأن اكون لطيفا وأن أرد عليه بين حين وآخر بحيث إذا عدنا ليلا يخطر لكل من يرانا أننا صديقان .

وكان هذا شيئا آخر أردت أن يعتاد الأهالي عليه ، وهو أننا لم نكن نعود ابدا إلا بعد أن يجن الليل . وكان عنيدا على طريقته ، وقد حدث أن اصطدنا سمكا بعد أن خيم الظلام فلم أجد بعد ذلك أى عناء في اقناعه على البقاء حتى يدلهم الليل بعد ذلك ، وبهذه الطريقة إذا حدث ووقع من القارب فانني استطيع أن أقول عندئذ انني بحثت عنه وظللت أبحث عنه وأنني لم أجده بسبب الظلام . وكان بدينا وكنت أعلم أنه لا يجيد السباحة ، وقد اعترف لى بذلك أثناء حديثه لى .

ولم اتعجل الأمر لأنني كنت أعلم أنه كلما تعود الناس على رؤيتنا كلما تأكدت لهم صداقتنا بحيث يعتقدون أن موته جاء قضاء وقدرا وأن لا يد لى فيه .

ولم احدثها بشئ عن خطتى فقلما عرفت عنها كان ذلك أفضل ، حتى إذا استجوبها رجال البوليس أو رجال شركة التأمين لا تستطيع أن تقول لهم شيئا .

وذات يوم ، حين عرفت أنني لم اخرج للصيد معه جاءت الى بيتى ، وكنت أعرف أن ذلك ليس سليما ولكنني تركتها تدخل مع ذلك وأسدلت كل الستائر حتى لا يراها أحد من الخارج . وعندئذ راحت تبكي ولم الومها مطلقا لأنني كنت أعرف أنه خسيس وشككت في أنه كان يضربها كثيرا .

ولم تقل انه ضربها ولكنني كنت متأكدا من ذلك ، ولم تنكر عندما سألتها ، بل ازدادت نحيبا وقالت انها لم تعد تستطيع الاحتمال وانه اذا لم يحدث شئ سريعا ....

حسنا ، بعد أن عادت الى بيتها رفعت كل الستائر ثم جلست ورحت أفكر . وكنت لا أزال جالسا وقد استغرقت في التفكير عندما رفعت عيني فجأة فرأيته يدور بالبيت خلسة . وأدركت انه عاد مبكرا لكي يتجسس عليها ، ولم أدر ماذا كان يتوقع أن يجد لأنها لم تكن ترى أحدا آخر غيري .

وفي اليوم التالي اعتذرت عن الخروج معه مرة أخرى ...... أردت أن أرى ماذا سيفعل عندئذ ولكنه لم يقل شيئا وان كان قد نظر الى بطريقة غريبة ..... وبدأ يجمع أدواته لكي ينقلها الى زورقة ، وأخذت أراقبة والقارب يبتعد به وأدركت سبب تلهفه على مرافقتي عندما رأيت قاربه ينطلق ببطء شديد ، ولما غاب عن نظري ذهبت الى بيته وطرقت الباب .

ودهشت عندما رأتني لأنني لم نقل لها أنني لن أخرج للصيد معه . وحدثتها بتجسسه عليها فانزعجت وتوسلت الى أن لا أقول له أنني رأيته فقد يشتبه في شئ خاصة وأنه شديد الغيرة ، بل أنه ليغار من صبي البقال ومن اللبان ، وأسوا من ذلك كله انه يغار من أخيه الذي لم تره منذ وقت طويل .

وأتذكر انها انفعلت جدا في ذلك اليوم وراحت ترفع قميصها لتغطي صدرها المكشوف أكثر من اللازم وخطر لي أن اتحدث معها بخصوص ثيابها فيما بعد لأنه ليس من المعقول لامرأة في سنها ان تلبس قميصا يكاد يكشف عن صدرها وشورتا قصيرا لا يكاد يستر نصف فخذيها . لم يكن في ذلك أي ضير ونحن وحدنا ولكنه معيب جدا أمام الآخرين .

ومع ذلك فكل ما قلته لها في ذلك اليوم هو أن تصبر وأنها لن تحتمل هذا العجوز أكثر من ذلك ، وهدأت عندما قلت لها هذا ، وعدت الى بيتي . ولم يكن لديها طبعا أية فكرة عما كان يدور في ذهني عندئذ .

وجئت بقبضة مجداف قديم أخفيتها فى قاربى ، تحت طوق النجاة . وكنت أنوى أن اضربه بها على أم رأسه ثم القيها فى عرض البحر حتى إذا حدث تحقيق بأية صورة لا يعثر المحققون على أى أثر للدماء فى القارب . وكان اليوم الذى اخترته جميلا صافيا ، وذهبت الى بيتها فى وقت مبكر . وأعدت لنا الأفطار وانتظرنا حتى اعدت لنا طعام الغذاء لكى نأخذه معنا . وعندما هممنا بالانصراف سألتها ألا تنوى أن تودعه ، فنظرت الى نظرة سريعة لكى ترى أن كنت أعنى شيئا خاصا . ولم انطق بشئ ولكن لاشك انها أدركت الأمر مما ارتسم على وجهى لأنها ابتسمت وودعتنا .

وبعد أن مضينا الى مكاننا المعهود لم يكن هناك ما أفعله لكى أجعل الوقت يمر سريعا ولم يسعنى إلا أن أجلس مكانى وان أصغى اليه وهو يتكلم .... تكلم عنها وعن صبى البقال واللبان وعن أخيه الذى أغرمت به مرة . ولم أستطع مجادلته لأننى كنت أعرف أن هذه آخر مرة أصغى اليه فيها .

وأدركت أن اليوم سيكون جميلا عندما بدأت اصطاد السمك قبله . كنت أجلس دائما فى المؤخرة لكى يتسنى لى أن أدير المحرك فى حين كان يجلس هو فى المقدمة . واصطدت سمكة كبيرة حمراء فتذمر عندئذ وقال أن السمك يتجمع كله عند مؤخرة القارب بحيث عرضت عليه أن نتبادل مكانينا .

وتم لنا ذلك . ورأيت عندئذ الفرصة سانحة لكى القى به فى عرض البحر وهو واقف هكذا يحاول الاحتفاظ بتوازنه . ولكن الوقت كان لا يزال مبكرا بحيث خشيت أن يأتى أحد غيرى فيرى أننى جالس اصطاد وحدى ولهذا رأيت أن أنتظر .

ولم يلبث أن اصابه التوفيق فبدأ يصطاد السمكة أثر الأخرى ولهذا لم يتعين على أن أشجعه على البقاء . وكان الظلام قد جن

عندما ابدى رغبته في التوقف عن الصيد وهو جد مسرور . ولما كان جالسا في المؤخرة فقد عرضت عليه ان يتولى هو قيادة القارب لكي نعود الى البيت . واظن أن عرضي هذا أدهشه لأنني لم أكن أدعه يلمس المحرك ابدا ، ولأنني لا أرضى عن طريقته في الملاحة .

وقلت له أن يفحص المحول وأن يتأكد أن الرفاص سليم لم تتعلق به أية أعشاب . وبدا له هذا الأمر طبيعيا لأنني حرصت على أن أفعل ذلك أمامه مرارا .

وكان منحنيا فوق الرفاص عندما ضربته بقبضة المجداف فترنح ولم أجد صعوبة في أن القى به من فوق القارب . ولم يكن قد مات لأن ارتطامه بالماء أعادة الى الصواب قليلا فراح يضرب بيديه حول القارب ، وحرصت على أن يكون القارب بعيدا عن متناول يديه حتى لا يتشبث بحافته ، ونظر الى مشدوها غير مصدق قبل أن يهوى الى القاع ويختفي .

وانتظرت نحو نصف ساعة لكي أتاكد من انه لن يظهر ثم القيت بطوق النجاة في الماء ، وبعد لحظات أدرت المحرك وعدت الى المرسى بعد أن طوحت بقبضة المجداف التي ضربته بها في مكان أخر بعيد عنه .

وكان القوم عند المرسى جد متفاهمين ، وأدركت فجأة انني كنت استطيع أن أوفر على نفسي كل هذه المتاعب لأن أحدا منهم لم يشك في القصة التي ذكرتها لهم . واجمعوا كلهم على أن جثته لن تظهر أبدا بسبب الحيتان وأسماك القرش .

وقامت هي بدورها خير قيام ، وبدا ذهولها حقيقيا من هول الصدمة . بل انها راحت تصرخ في هستيريا تامة . وقبلت احدى الجارات أن تبقى معها في تلك الليلة وبذلك لم استطع أن اتحدث معها .

وكان الوقت متأخرا عندما فرغت من تقديم تقريرى لرجال البوليس . وكنت متعبا ومرهقا جدا بحيث غلبنى النوم بمجرد أن أويت الى فراشى .

ولا أدرى فى أية لحظة سمعت تلك الضجة فى بادئ الأمر . كان يمكن أن يكون مصدرها احتكاك بعض الأغصان بسبب الريح ولكنها بدت للجميع كما لو كان بعضهم يئن ويتألم . ولم تزعجنى تلك الضجة فى البداية ولكننى لم أجد للنوم سبيلا على الرغم من أننى سحبت الغطاء فوق رأسى . ثم سمعت خطوات بطيئة . هكذا بدت على الأقل ولكننى فكرت أن هذه سخافة فلم يكن فى الاستطاعة أن أسمع خطوات لأنه لم يكن بالبيت أحد آخر غيرى .

وكان الصوت الثانى الذى سمعته مألوفا لدى فقد كان صوت باب مخدعى وهو يفتح . ورفعت عينى ورأيته واقفا والماء يتساقط منه . لم ينطق بكلمة ما وما كان له أن ينطق بشئ لأننى أدركت أنه جاء من عالم الموت ليتهمنى .

وعندئذ بدأت أصرخ وظللت أصرخ ولم استطع أن أتوقف . ولم أمسك عن الصراخ حتى بعد أن جاء بعض الرجال ووضعوا قميصا جبريا حول كتفى منعنى عن الحركة أو حتى بعد أن نقلونى الى حيث أنا الآن .

ولم أمسك عن الصراخ حتى بعد أن جاء الطبيب وقال بصوته الرقيق انهم لم يعثروا على جثته ابدا . ولم أمتنع عنه كذلك عندما قال لى الصوت انها تزوجت بعد الحادث مباشرة بأخى زوجها الذى كانت تحبه حقا . وقد حاول الصوت أن يحملنى على الاعتقاد بأن الأخ هو الذى فتح باب مخدعى ووقف بعتبة الباب والماء يقطر منه .

لم أمسك عن الصراخ ومازلت أصرخ حتى الآن .

☆★☆

الصديق القاتل
بقلم لاورنس تريت

كان أول ما سمعت عن الجريمة نبأ اذاعة الراديو لها وهى فى المطبخ فى أصيل يوم من أيام الصيف ، فقد قال المذيع ان جثة امرأة شابة وجدت فى زقاق مسدود فى الشارع الرئيسى .

وأقبل كلايد بعد ذلك بقليل ، ورأته لويز من خلال النافذة يوقف سيارته المكشوفة ويهبط منها هو ومارى مارى ، الكلبة الصغيرة ذات الاذنين الكبيرتين والشعر الغزير العسلى تسرع اليه تحييه .

وانحنى كلايد فوقها ، وشد اذنيها الطويلتين فى رقة وتحدث اليها . وهزت الكلبة ذيلها وتساءلت لويز أى سحر ينبعث من كلايد.

كان يبدو كأن سحرا ينبعث منه حقا ، وأن هذا السحر دفعه الى أن يكون باحثا كميائيا مشهورا بشركة الكتريك بلانت . وكان شابا وسيما طويل القامة ، ملك فؤادها عندما وقعت عيناها عليه لأول مرة وتزوجا منذ عام .

وسمعته يناديها باسمها وهو يدخل البيت ، ولكنها دهشت إذ رأته لا يدخل المطبخ ليقبلها كعادته ، وراحت تعمل فى صمت ، وهى تحاول أن تلتمس له عذرا وتحدث نفسها بأن هناك ما يشغله من غير شك ، وانها حساسة أكثر مما ينبغى وتتألم من أقل شئ .

وسمعته يصعد الى الطابق العلوى ثم لم تلبث أن سمعته

يصفق الباب الخلفي فعرفت أنه خرج الى الحديقة . ولاريب أنه كان مستغرقا في فكرة معقدة تلح عليه تدور حول الطبيعيات . وأدارت الراديو ورفعت صوته .

وسمعت نبأ آخر عندئذ يقول أن البوليس عرف شخصية المرأة القتيل ، وانها تدعى برتا سيشنز ، وأنه يعتقد أن القاتل نقلها في سيارتها هي بالذات الى الزقاق المذكور ثم القاها فيه ، وان حركة المرور كانت على أشدها في الشارع في ذلك الوقت ، وان الزقاق مسدود وان هناك من رأى القاتل وهو يقود السيارة بلا ريب . واذاعوا وصفا للسيارة وطلبوا من كل من رآها أن يتصل بهم .

وعندما استدارت لويز رأت كلايد واقفا بعتبة الباب ، ولما كانت تعرف أنه لا يميل الى الراديو فقد أدارت المفتاح وأسكتته على الفور، وقالت تعتذر: – كنت أصغي الى الأنباء .. ومن يدرى ، لعلك رأيته أنت يا كلايد فإنك تمر في عودتك من هذا الشارع دائما .

قال : – انني غادرت المكتب منذ وقت طويل لحسن الحظ .

– ولماذا لحسن الحظ ؟ (حسنا ... لسوء الحظ أذن .

وانحنى بطريقة مبالغ فيها ثم استدار ومضى الى غرفة المعيشة . وبعد دقائق ، عندما صعدت الى الطابق العلوى رأت أنه صب لنفسه شرابا وراح يحتسيه في هدوء ، وهو يتأمل الموقد الفارغ ، وظنت أنه مازال يفكر في المسائل الطبيعية ، فمضت الى دورة المياه وهناك رأت الضمادة الملوثة في سلة المهملات ، وعزمت على أن تسأل كلايد أن كان قد جرح نفسه، ولكنها نسيت الأمر ولم تسأله إلا عندما نضا عنه ثيابه ورأت ضمادة حول ساعده العلوى فسألته :

هل جرحت نفسك ؟ قال:ان ماري خدشتني من شدة حبهالي .
قالت لويز : - ولكن ....

ثم أمسكت ، فقد كان مرتديا سترته عند عودته ولم يخلعها عنه طوال الوقت فكيف استطاعت ماري أن تخدشه في ساعده العلوي .

قال : - ولكن ماذا .... انك تركتني معلقا في الهواء .

- أجابت : - لا شئ ..... انما أفلتت مني الكلمة عفوا .

بدا يقول : - ومع ذلك ....

ثم سكت بدوره فقالت : - أرأيت .... انك فعلتها أنت أيضا .

فأخذ يقمقه .

وفي الصباح كانت انباء الجريمة تتصدر الصحيفة المحلية ، فقد أطلقت رصاصتان على برتا سيشنز ، ووجدت سيارتها مهجورة على بعد نحو عشرة أميال ، وبها آثار دم مما دل على انها قتلت في السيارة وان جثتها نقلت منها ، وثبت من التشريح انها كانت حاملا في شهرين ، كما دلت الآثار التي رفعوها من قلامات اظافرها على أنها قاومت قاتلها وخدشته . ويعتقد البوليس أن عشيقا لها قتلها .

وذكرت الصحيفة بعد ذلك عدة تفاصيل خاصة عن حياتها ، فقالت انها تزوجت مرتين وطلقت ، وانه القي القبض عليها مرة لقيادتها سيارتها وهي مخمورة ، ومرة أخرى لتحريرها شيكا بدون رصيد ، وانها اشتغلت فترة في شركة أونيون الكتريك واستقالت منها في ابريل الماضي .

القت لويز الصحيفة من يدها وقالت : - لاشك انك تعرفها .

قال كلايد : انني التقيت بها . اشتغلت فترة في السكرتارية ، وهي شقراء فاتنة ، واظن أن الشركة طردتها .

قالت لويز وهي ترتجف بالها من نهاية فظيعة ... يا المسكينة !

لا شك أنها لقيت ما تستحق .

ونهض واقفا ودار بالمائدة وطبع قبلة على وجنتها وقال : - الى الملتقى مساء اليوم .... هل هناك مواعيد الليلة .

- كلا .... سنبقى وحدنا في البيت .

قال كلايد : - عظيم .

وخرج وشيعته ماري الى الخارج في حماسها المعروف .

وبقيت لويز أمام المائدة وأعادت قراءة الصحيفة . وعندما دق التليفون انتظرت لحظة قبل أن تنهض ، وبدون ما سبب تذكرت المرات السابقة التي صلصل فيها جرس التليفون منذ نحو اسبوعين والتي لم يتكلم فيها أحد ، كما لو ان الطالب كان يريد أن يتحدث الي كلايد دون أن تعرف زوجته ذلك . وعندما أخذت لويز السماعة أخيرا سمعت اختها تتكلم ، وتسألها أن كانت تحب أن تمضي الى المدينة ، وان ترافقها لشراء بعض حاجياتها ثم تدخلان السينما معا بعد ذلك فأجابت : -

- كلا . شكرا لك ولكنني لا أشعر بأي ميل لذلك .

- ساذهب وحدي اذن ... ولكن اخبريني يا لويز ، هل قرأت نبأ الجريمة ؟ يقال انها كانت تخرج مع رجل وسيم طويل القامة ، وان البوليس يبحث عنه الآن قولي لكلايد أن يكون حريصا .

قالت لويز : - هلا تركت المزاح ؟ .

وبينمـا كـانت تقـضم احـدى الشطائر سـمـعت الراديو يدلى ببيان ، ويقول ان برتا سيشتر تناولت الغداء مع رجل مجهول لم تعرف شخصيته بعد يوم الخميس منذ اسبوعين فى مطعم ايطالى يقع بالشارع الرئيسى ، وأن الساقية التى قامت بخدمتهما سمعت الرجل يهددها قائلا : – إذا حاولت ذلك فسوف أقتلك .

ورأت الساقية صورة برتا فى الصحيفة فتذكرت ذلك الحادث على الفور. وذكرت انها تستطيع معرفة الرجل إذا رأته ، ووصفته بأنه وسـيم طويل القامـة ، وقالت انه كـان يلبس ربطة عنق حـمراء مرسوم عليها حدوة حصان باللون الأسود ، وانها تتذكر ذلك جيدا ، لأن الرجل نقدها بقشيشا كبيرا قدرة خمسة دولارات وهذا أمر نادر الوقوع ...

وكان كلايد سخيا دائما ، وكانت لديه ربطة عنق حمراء مرسوم عليها حدوة حصان باللون الأسود أهدتها له لويز يوم عيد ميلاده .

ونهضت فى بطء وارغمت نفسـها على أن ترقى الدرج ، وان تفـتح دولاب مـلابسـه وتفـحـصـه . كانت ربطة العنق الحـمراء غـير موجودة ولم يلبسها صباح اليوم .

وجلست فـوق الفـراش . وكـان من السـخف أن تفكر فـى ذلك الأمر ... كلايد ..... يا السماء . كلا ، واذا كان هذا قد حدث وقتل تلك المرأة حقـا فـانه ليس من الغبـاء بحيث لا يدرك أن امـره لن ينكشف ... انها وجدت بعض رسومـات معقدة بها رموز لاتينية وعـلامـات واشـارات ترمـز الى المشـروع ج ..... أى مـشـروع الجريمة ... ثم أنه من ناحية أخرى رجل حديدى الأعصاب حقا .

ولكن ماذا يفعل إذا ما تعرض لضغط ما .... إذا كانت له زوجة

وعمل وسمعة يحرص عليها وامرأة مثل برتا سيشنز تحاول أن تهدده ؟ .

التبقت لويز اصابعها وكرهت نفسها بسبب هذه الأفكار التى تصطخب فى رأسها ، ولكنها لم تستطع أن تطرحها عن ذهنها ، وتذكرت رغما عنها تلك الليلة ، بعد أسابيع قلائل من زواجها ، وكانت جالسة تحيك زرا فى جاكتته وقد أحست فى ذلك الوقت بالفخر بصورة عجيبة وبالهدوء والامان الى أن دخل وهو يبتسم وفى يده مسدس .

صاحت مذعورة : كلايد ما هذا ؟ أجاب: مسدس من عيار ٣٨ .

قالت فى صوت خافت : - ابعده عنى .

- ولكن يجب أن يكون معك سلاح لكى تدافعى به عن نفسك عندما أكون بعيدا .

- اننى أخاف من المسدسات وأكره منظرها .

قال : - حكمى عقلك . ان هذا الا مجرد احتياط . وأرجو ألا تضطرى الى استخدامه ، ولكن اذا حدث العكس فيجب ان تعرفى كيف تستخدمينه .

خفضت عينيها الى يديه ونظرت اليه وهو يعالج المسدس وقالت : - أرجو أن تبعده عنى .

قال فى استغراب : - انك خائفة حقا . حسنا . لا حاجة لك الى لمسة . سأضعه فى درج الطاولة حتى يكون فى متناول يدك إذا احتجت اليه .

ارتعشت رغما عنها وقالت : - اذا وضعته فى تلك الطاولة فلن أرقد ابدا فى هذه الغرفة .

قال فى رقة : لا تقلقى يا حبيبتى . سأضعه فوق الرف بحيث لاتقع عيناك عليه . ولكننى أحب أن تعرفى مكانه . تعالى معى .

وتبعته صاغرة ورأته يضع المسدس فوق رف بدولاب ثيابها . خلف الصندوق الذى يضم الأحذية التى لا تلبسها .

وعاد الأمر الى ذهنها فى هذه اللحظة ، كما عاد الى ذهنها منذر آخر حدث منذ شهر .... كانت جالسة فى غرفة المعيشة ترفو جوربا ، واجتاز كلايد الغرفة والمسدس فى يده وقال (سأهبط الى القبو فأننى أريد أن أجرب هذا المسدس) .

وانتظرت وهى على أعصابها أن تسمع الطلقة . ولم تستطع أن تمسك بالابرة وراحت تعد فى صمت عندما دوت الطلقات أخيرا وراحت تهز البيت والجدارن . وصرخت عندئذ وأسرعت الى الخارج . وأقبلت مارى مارى فوقفت لويز وعانقتها قائلة : - كيف يستطيع أن يفعل بى هذا ؟ أو اه يا مارى مارى .

وكانت لا تزال ترتعش متشبثة بالكلبة عندما جاء كلايد بالمسدس وقال : أننى آسف. لم اقصد افزاعك واعاد المسدس مكانه فى نفس الليلة . كانت واثقة من ذلك . ولكن هل لا يزال المسدس مكانه ؟ .

نهضت واقفة على مضض ، ومضت الى الدولاب وفتحته ، واستطاعت أن ترى صندوق الأحذية مكانه ، لكنها لم تستطع أن تمد يدها اليه . لم تشأ أن ترى إذا كان المسدس لا يزال مكانه أم اختفى لأن من الأوفق أن تختفى بعض الأشياء من الأوفق ان يعيش المرء فى ظل من الشك ، وأن يبقى متشككا لأن نهاية الشك يمكن وان يكون شيئا أسوأ .

واستدارت وهبطت . اذا كان كلايد قد استخدم المسدس فلا يمكن أن يتركه مكانه . وبناء على ذلك لابد أن يكون قد اختفى .

ولكن كانت هناك شكوك أخرى . وعادت الى ذهنها ذكريات أخرى ، وقويت الشكوك فقد قالت تلك الساقية للبوليس أن برتا سيشنز تناولت الغداء مع رجل غير معروف يوم الخميس ، منذ أسبوعين .

تذكرت لويز تلك الليلة فقد أخبرها كلايد أنه لن يعود لتناول الغداء ، وانه سيتغدى مع بعض زملائه ، ثم يمضون بعد ذلك الى اجتماع علمى ، وقال انه ربما يتأخر ولكنه عاد الى البيت فى وقت مبكر قائلا :سرعان ما انفض الاجتماع فقد ابدى الجميع موافقتهم . وهذا أمر غريب لم يسبق حدوثه .

ومضت الى المطبخ وصدى صوته لا يزال يرن فى اذنيها ، وجلست أمام المائدة . وكان كوب اللبن مازال مكانه بجوار الشطيرة التى لم تأخذ منها غير لقمة واحدة . ولكنها لم تلمسهما .... لم تشعر بأى ميل للأكل .

والمرات الأخرى التى خرج فيها كلايد ؟ .... تلك الليلة التى اتصل فيها تليفونيا وقال : – لويز ..... أنا الآن فى الينفيل ..... اظن اننى سأبيت فى الكوخ .

سألته : – ولكن ماذا تفعل هناك ؟

كان الكوخ مكانا خاصا استأجراه لقضاء شهر العسل، ولكنه راق لهما واحباه كثيرا ، فاشترياه على الرغم من افتقاره الى التركيبات الصحية الحديثة ، وعلى الرغم من سقفه الذى ينفذ منه الماء .

وقد اجابها قائلا : – كنت أقود السيارة وأنا أفكر فى بعض

المعادلات فإذا بى أجد نفسى أمام الكوخ . ولما كان الوقت متأخرا فقد رأيت من الأوفق أن أقضى الليلة فيه .

فهل كان حقا فى البنفيل فى تلك الليله ؟

لم تدر .... وهزت رأسها فى اعياء ، ونهضت وفتحت الثلاجة وأخذت كوب اللبن والشطيرة فوضعتهما بها . لعله يمكنها أن تأكل فيما بعد ، ولعله يمكنها أن تكف عن التفكير .

ولكنها لم تستطع ، فحاولت أن تشغل نفسها بالاهتمام بالحديقة ، ولكنها لم تفلح ، فدخلت وجلست وراحت تحدق فى الجدار .

وفى الساعة الثانية أقبل البوليس .

جاء رجل عليه سمات الجد ، ويلبس بذلة داكنة وقال : – أنا المفتش تيللر . أريد أن القى عليك بضعة أسئلة .

سألته : – فى أى شئ ؟ .

– فى موضوع أحب مناقشتك فيه . فى يوم الخميس ، منذ أسبوعين ، أى التاسع من هذا الشهر ... أين كنت فى تلك الليلة ؟

– الخميس .... اوه .... كيف يمكننى أن اتذكر يا مستر تيللر .... الخميس أو الأربعاء ... ان الأمر يختلط على .

–ارجعى الى مفكرة مواعيدك اذن...ان لديك مفكرة،أليس كذلك؟

– كلا . ان زوجى يتمنى أن تكون لى مفكرة أسجل فيها المواعيد لأن الأمر يختلط على حقا .

– هل يمكنك أن تتذكرى أى شئ آخر عن أى يوم من أيام ذلك الأسبوع ... يمكننا ان نبدأ من هذه النقطة ....

– حسنا . اننا ذهبنا الى السينما يوم الثلاثاء .... أو لعل ذلك يوم الاربعاء واكننى لست واثقة فى أى اسبوع كان ذلك .

قال تيلر فى ارتياح : - يمكننا ان نعرف ذلك ..... اذكرى لى اسم الفيلم واسم الدار التى كانت تقوم بعرضه .....

قالت : - ما اغبانى .... الواقع أننا لم نذهب الى السينما . كان فى نيتنا أن نذهب ولكننا لم نفعل وبقينا فى البيت .

- مسز ايكهارت .... انك لست صريحة معى .

- كلا . وكذلك أنت ..... لأنك تريد أن تعرف أين كان زوجى وكل ما عليك هو أن تسألة بنفسك ..... أن له ذاكرة قوية ، ومن الواضح أنك تحاول خداعى .

قال : - ومن الواضح اننى فشلت .

وتركها وهى فى حيرة من أمرها .

وفى الساعة السادسة سمعت سيارة تقف أمام البيت ، وحسبت أن كلايد هو الذى أقبل ، ولكن الرجل الذى هبط منها لم يكن كلايد وانما أخوه ، ولم يكن هذا الأخير يأتى إلا نادرا .

ومضت الى الباب ففتحته قبل أن يطرقه وقال وهو يبتسم : - لويز ! .... أنك فاتنة وان كلايد لمحظوظ .

قالت : - أشكرك . ولكن لم لا تزورنا كثيرا . انك لم تأت حتى الآن غير مرة واحدة .

قال مارتى : - ذلك ان كلايد لا يرحب بى ..... يخاف أن أسرق منه زوجته .

ونظر اليها فى ارتباك ، وقد أحمر وجهه ، كما لو كان لا يريد أن ينطق بما نطق به فقالت :

- لا تكن سخيفا .... أعلم أنك على الرحب والسعة دائما . تفضل (ودعته الى الداخل .

قال وهو يدخل الى غرفة المعيشة:- يسرني ذلك . ولكنني قادم الآن في زيارة عملية ، فقد طلب كلايد أن آتي لكي اتحدث اليك .

- في أي شئ ... أين هو وماذا حدث ؟

- لا شئ ولكنه سيقضي الليلة في مكان ما ... انه في ورطة وأنا أحاول اخراجه منها .

سألته لويز في حدة : - أي ورطة ؟

- قضية برتا سيشنز . الظاهر انه كان يعرفها ، وقد رأت الساقية صورته ، وقالت أنه هو الرجل الذي هدد برتا في المطعم ... هذه قضية خطيرة .

- وماذا يقول كلايد ؟ يقول ان الأمر سخيف طبعا . لقد عرض البوليس الصورة على الساقية فقالت انه هو ، وليست هذه بالطريقة المثلى للتعرف على الأشخاص ، وسأعمل على دحضها .

- وكيف ذلك ؟ أجاب في غموض : - هناك وسائل كثيرة .

واستطرد يقول ولويز تتفرس فيه : - يجب أن اخبرك انني سألتقي بهذه الساقية الليلة ، وبعد أن نلتقي ، فلعلها تشك في أن الرجل الذي رأته مع برتا سيشنز رجل آخر غير كلايد .

سألته لويز في هدوء : - وهل عرفت أنت برتا ؟

ابدى مارتي حركة خفيفة تدل على دهشته ، ولكنه هز كتفيه وقال : - وهل هناك أية أهمية لذلك .... ان المومس التي من طرازها تعرف أناسا كثيرين ، والشئ الوحيد الآن هو هل يملك كلايد ربطة عنق حمراء مرسوم بها حدوة حصان باللون الأسود ؟

ومد مارتي رأسه الى الأمام وانتظر أن تتكلم لويز . وعندما لم تنطق قال : هل يملك واحدة ؟

ترددت لويز ولكن عندما تكلمت جاءت الاكذوبة بسهولة قالت :

– انني لم أهتم أبدا بأربطة عنقه .... ربطة حمراء .... كلا ... أنني متأكدة من ذلك .

قال مارتي : – هذا جميل . المشكلة الحقيقية الآن هي أن نثبت أنه كان في مكان آخر اثناء وقوع الجريمة ، وهو يقول انه كان يقود السيارة ولا يعرف أين ذهب لأنه كان يفكر في بعض المعادلات الخاصة بعمله . وأنت تعرفين كيف لا يفطن المرء الى كل شئ عندما تستغرقه الأفكار . وقد تكون هذه لمسة من لمسات العبقرية ، ولكنها عادة ما كان يجب أن يقع فيها في ذلك الوقت بالذات ، فقد قتلت برتا سيشنز أثناءه .

سألته لويز : – وأين هو الآن .

يحتمل أن يكون في الكوخ ، فقد لجأ اليه مرارا . أليس كذلك ؟

أومأت لويز وقالت : – نعم أو على الأقل ....

قاطعها مارتي قائلا : – ليس على الأقل . انه في أمان في الوقت الحالي وبعيد عن الخطر ، ولكنه سيكون في مكتبي غدا صباحا ، وسيسلم نفسه لرجال البوليس ، اذا كانوا يريدون القبض عليه .... وأظن انهم يريدون ذلك .

نهضت لويز وراحت تتمشى في الغرفة . لقد حدث ذلك أذن ... كلايد وهذه المرأة ..... وكان خائنا ..... ذهابه الى الكوخ ولقاءاته العلمية ... كلها اكاذيب !

وكانت تفترض ذلك في سويداء قلبها ، ومع ذلك فقد كان زوجها ، ومهما كانت افكارها ومهما كانت شكوكها فيجب أن تكون مخلصة له ووفية . كيف يمكن أن تدين زوجها قبل أن تلتمس الدليل على ذلك .

وتحولت الى مارتي وقالت : – قل لي ماذا يجب أن أفعل ؟

قال : – لا شئ . لاتنطقي بشئ ولا تردي على الاسئلة : ان لك ميزة خاصة هي انك باعتبارك زوجته غير ملتزمة بأن تشهدي ضده ، وانا أريد ذلك حقا . لا تقولي شيئا . اذا فعلت ذلك فلا تردي ، وإنما اجلسي واطبقي فمك . يمكنك ان تفتحيه لكي تبتسمي ولكن لا لكي تتكلمي . وإذا ما احتجت الى مساعدة ما أو الى أية مشورة فاتصلي بي . لنخرج الآن لتناول العشاء معا .

– لا استطيع . انني أفضل البقاء في البيت والتفكير .

القى مارتن اليها نظرة ثابتة وقال : – لعلك على حق . ولكن تذكري ..... لا تنطقي بشئ .... والزمي الصمت .

قالت : – حسنا .

ورأته وهو يركب سيارته وينطلق بها . كان يبدو ، من مسافة ما كما لو كان كلايد .... نفس القامة ولون الشعر والهيئة والحركات .

وتنهدت ، ثم مضت الى مخدعها وفتحت الدولاب ورفعت عينيها الى الرف. رأت صندوق الاحذية مكانه ولكنها لم تستطع القول اذا كان المسدس موجودا خلفه أو لا .

وأغلقت الباب وسارت الى المرآة ونظرت الى صورتها . كانت شفتها العليا مترزمتة . كانت رقيقة شديدة الحساسية وراحت ترتجف . ولم تلبث أن أخذتها هي نفسها رعشة شديدة فابتعدت عن المرآة .

ولجأت الى فراشها مبكرة في تلك الليلة . ولكنها لم تنعم بالنوم . ورأت احلاما مبهمة ومزعجة ، وصحت مرة وهي ترتعش وبقيت مكانها لا تتحرك وقد تملكها الخوف كما كان يتملكها وهي طفلة ... كانت تخاف من شئ لا تعرفه ، وتخاف من شعورها هي بالذات ، ومن شئ راح يلح على ذهنها . ولم تتمكن من النوم ثانية الا عند الفجر .

وعندما صحت اكتشفت ان خفيها مبتلان من الرطوبة ، وان العشب المندى يعلوهما ، فتحت الدولاب ونظرت الى الرف فلم تجد الصندوق مكانه ولا المسدس .

وارتدت ثيابها وهى تفكر وهبطت الى الدور الأرضى . وكانت زجاجة اللبن موجودة أمام الباب الخلفى وبجوارها صندوق الاحذية وكان الباب الخلفي مغلقا من الداخل . وكذلك الباب الامامي مما يدل على أن احدا لم يدخل البيت . وقد تأكدت من ذلك ... لا ريب اذن انها هى التى مشيت وهى نائمة ، ولكن أين ذهبت ؟ .... وماذا فعلت ؟ .....

كانت ذاكرتها بيضاء تماما عندما جلست وحاولت ان تتذكر . ولكنها عبثا فعلت . كان من الواضح انها اخذت الصندوق من الدولاب وخرجت به ، ولكن هل عثرت على المسدس ونقلته هو الآخر واخفته في مكان ما ؟ ..أو لعله لم يكن هناك مسدس على الاطلاق ؟ لم تتأكد من ذلك . وإذا كان عقلها الباطن قد دفعها الى أن تفعل شيئا ما فقد احتفظ بالأمر سرا دونها .

والتقطت الصحيفة من فوق عتبة الباب ، وجلست وقرأت الصفحة الأولى . كان اسم كلايد منشورا فى صدر الصحيفة . وقد ذكرت انه عالم مشهور ، وان البوليس يبحث عنه ، وقال محاميه أنه سيظهر اليوم ويوضح كل شئ .

ولكن الصحيفة أصدرت حكمها عليه مسبقا ، فقالت أن كلايد كان يعرف برتا سيشنز ، وانه تناول الغداء معها منذ اسبوعين وهددها بالقتل ، وانه لا يستطيع أن يثبت أنه كان فى مكان ما أثناء وقوع الجريمة ، وأن الساقية تعرفت على صورة له ، وأن البوليس يعرف ان عنده مسدسا . واختتمت الصحيفة مقالها بسؤال مشئوم: هل توجد على جسد كلايد ايكهارت خدوش أم لا ؟

وأقبل المفتش تيللر في الساعة العاشرة ، وكان مهذبا متحيزا .
وقد سألها : - هل يمكنني أن ادخل ؟ . طبعا . ماذا تريد ؟
قال : - مسدس زوجك . يقول انه موجود فوق رف بدولابك .
هل استطيع أن أتحقق ؟
لا أدري. لا أدري هل تقول الحقيقة انك حاولت خداعي أمس .
- ولم أحصل على شئ .
- أريد أن أتحدث مع محامي أولا ..... وهو أخو زوجي ، مارتي ايكهارث .
- تحدثي اليه اذن ، ولكن قولي له ان معي أمرا بالتفتيش ، واني لست بحاجة الى استئذانك . كنت أفضل ذلك طبعا ولكن ...
وأبرز لها أمر التفتيش فقرأته وقالت : - نعم . سأريك الدولاب.
وفحص الدولاب في عناية كبيرة ولكنه لم يدهش عندما لم يجد المسدس. وقال مسز ايكهارث سيكون الأمر عسيرا بالنسبة لزوجك
- لماذا . لانه قال ان المسدس موجود هنا ، وطلب منا ان نحصل عليه ، وان نطلق منه بعض الطلقات لتجربتها ومضاهاتها بالرصاصة التي قتلت مسز سيشنز . وقد صدقت انه برئ لمجرد لحظة تقريبا وأن في امكانه أن يثبت براءته ... ولكن بغير المسدس لا يمكننا أن نتأكد ، وقد يكون ذلك أمرا عسيرا بالنسبة له .
- ماذا تعني ؟ كانت هناك فرصة للتدليل علي أن الرصاصة التي قتلتها لم تنطلق من مسدسه .... ولكن الآن .
وقطب وجهه في حيرة ثم بدا أنه يفكر في شئ وقال : هل استطيع أن أتكلم في التليفون ؟ - انه في الطابق الأرضي ... سأرشدك الى الطريق .
وأمسك سماعة التليفون وأدناها لصق فمه وتكلم في صوت

هامس ، ولم تستطع أن تسمع ما يقول ، وعندما فرغ نظرت اليه فى جزع وقلق فسألها : هل يمكن أن القى نظرة على القبو .

أومأت برأسها ورأته يعبر الغرفة متجها الى القبو ، وهبط اليه وبقى فيه نحو عشرين دقيقة . وعندما صعد شكرها لتعاونها معه وغادر البيت .

استبد بها الخوف لأن شكوكها فى كلايد يمكن أن تدينه ، واختفاء المسدس يمكن أن يكون فيه هلاكه . وإذا هى قالت للبوليس ما فعلته فسيدركون انها ارتابت فيه ، وانه لابد أن هناك من الأسباب ما دفعها الى ذلك .

وفى الظهر سمعت النبأ من الراديو ، فقد اذاع ان البوليس أطلق سراح كلايد ايكهارت لعدم كفاية ، الأدلة ، وأن التحقيق مستمر فى نواح أخرى تنهدت فى ارتياح . كان كلايد بريئا انن ... شخص آخر قتل برتا سيشنز . ربما تناول كلايد العشاء معها فى يوم الخميس المذكور ، بل لعله هددها ولكن هذا لا يدل على أنه قتلها ... والخدوش؟.... لابد أن البوليس قد صدق تبريره بان مارى مارى خدشته وإذا كان البوليس أطلق سراح كلايد ايكهارت لعدم كفاية الأدلة الأخرى. ستصدق أى شئ يذكره كلايد ... أى شئ .

وعاد الى البيت عند الأصيل . سمعت سيارته وسمعت نباح مارى مارى ، ولكنها لم تنتظر ولم تخرج للقائه . بقيت فى غرفة المعيشة لأنها المكان الذى يتوقع أن يجدها فيه .

وعندما فتح الباب صاحت : - كلايد .... وهمت بأن تندفع اليه ولكن ملامح وجهه أوقفتها على الفور ، ولم تلبث أن رأت ذراعه مدلى فى عصابة مربوطة الى عنقة .... ذراعه اليمنى التى كانت تحمل الضمادة بالأمس .

وسألته : – ماذا حدث ؟ .

قال : – أنه موقد الكوخ يجب أن نشترى موقدا جديدا فقد انفجر أمس وأحرق جلد يدى اليمنى حتى أعلى المرفق .

قالت : لا ريب انك قضيت وقتا رهيبا . آه يا كلايد ... انتى آسفة . ماذا أستطيع أن أفعل .

قال في برود : – ألم تفعلي ما فيه الكفاية ؟ .... انتى أرسلت البوليس لكي يأخذ المسدس فأين هو ..... ؟ انك أخفيته أو اضعته أو ..... ماذا فعلت به ؟ .

قالت وهي ترتجف : – ولكنهم أطلقوا سراحك .

– لأننى تذكرت الطلقات التى أطلقتها وأنا أجربه فى القبو . لقد وجدوا رصاصتين فارغتين وقارنوا بينهما وبين الرصاصة القاتلة وكانت مختلفة تماما ، ولهذا اطلقوا سراحى . انك عاونتنى تماما، اليس كذلك ؟.. لماذا لا تقولين لى أنك آسفة على ذلك أيضا .

تجمدت اطرافها وقد أذهلها بروده وجرأته وعداؤه ... ألم يفهم ؟ .... عصف الحزن والأسى بقلبها ... له ولها وللمرأة القتيل ولكل شئ . كانت محزونة أسية ، ولكنه عنفها قائلا : – ولماذا تأسفين ؟ .... الانك أعدمت دليل براءتى ، أو لعلك تأسفين لانه لم تكن لى علاقة بمقتل برتا ؟ .

– كلايد .... اننى حاولت مساعدتك . لم يكن الأمر هينا . كنت وحدى وقال لى مارتى انك فى ورطة ، ولكنك لم تذكر لى أى شئ . لو انك ذكرت لى أى شئ أمس .... اننى قضيت وقتا رهيبا ، وعشت على أعصابى أنا الأخرى .

قال : – ولكن البوليس لم يقبض عليك .

قالت : – ارجوك .... لا داعي للشجار .

– انني لا أتشاجر . ولكنني اتساءل لماذا تخليت عني ؟

قالت مستاءة وهي تتساءل لماذا تغير هكذا فجأة ، وإذا كان كلايد هو الذى ينطق بهذا القول حقا : – لا أظنك تعني ما تقول ؟

مضى الى البار المتنقل وصب لنفسه شرابا مضى به الى الفراش وقال :

– حسبت انني خنت عهدك ، وانني كُنت في ذلك المطعم مع تلك المرأة ، في حين انني قلت لك انني ذاهب الى اجتماع . ومازلت تحسبين ذلك بسبب ربطة العنق .

– لم أعد أفكر في ذلك .... أنني أريد أن أنسى .

قال : – ولكنني أعترف لك أنني لم أحب هذه الربطة ابدا .

وتأمل شرابه واحتسى جرعة منه ثم قال:–انني اعطيتها لمارتي.

صاحت : – كلايد .... هل تدرى معنى ما تقول !

أجاب : – ان مارتي لم يقتلها .... كان في مكتبه في ذلك الوقت الذى قتلت فيه ، على بعد ثلاثين ميلا .

قالت : – ولكن ....

والتبس عليها الأمر عندئذ . من الذى تناول الغداء مع برتا يوم الخميس .... كلايد أو مارتي ؟ ... ولكن لم يعد لهذا الأمر أية أهمية . كل ما تريده هو أن تنسى وان يطلع الغد وان تتجنب هذا الموقف وتستعيد هدوء الذهن .

قال كلايد : – ولكن ماذا ؟ ...... الا تنطقين ؟

قالت غاضبة كلايد . لا أريد أن أنطق.. أريدك ان تتكلم أنت .

قال حسنا انك مازلت غير متأكدة وتخشين أن تلقى على سؤالا مباشرا ، ولكن هل تتصورين حقا يا لويز اننى من الغباء بحيث أترك المسدس لكى يعثر عليه البوليس أو بحيث أدعى أنه اختفى .

أحمر وجهها وقالت : دعنا من كل هذا واعطنى شرابا أنا الأخرى فلعلنى أشعر بتحسن .

نهض ومضى الى البار وصب كأسا ناولها اياه ، فأخذت منه جرعة كبيرة هبطت فى حلقها كالنار المحرقة ، وارتجفت رجفة سريعة .

قال :- حدست ما سوف يقع ، ولهذا ذهبت الى مارتى أمس ، وتحدثت معه فى الأمر ، واستقرت نيتنا على أن نترك البوليس يقوم بعمله ويبنى حلقة من الأدلة ولهذا اختفيت لأعطيهم فسحة من الوقت للتأكد ، ثم مزقنا الأدلة واحدا بعد الآخر .

- كيف ؟ كانت هناك الساقية التى اتضح أن شهادتها غير مؤكدة . ثم كان هناك الدليل الذى لم يتمكنوا من دحضه وهو أن الرصاصة التى قتلت برتا لم تنطلق من مسدسى ، كما أنهم ....

ويسط ذراعه المصابة واستطرد : - كما انهم لم يستطيعوا التأكد من الخدوش بسبب الحريق الذى التهم ذراعى . كانت اللحظة الوحيدة الحرجة التى مرت بى هى عندما لم يعثروا على المسدس . والآن قولى لى ماذا فعلت به ؟ .

قالت يائسة : لا أذكر. مشيت وأنا نائمة ولا أدرى أين وضعته. وراحت تبكى .

وعادت اليها الذكرى أثناء الليل ، فرأت نفسها تفعل ما فعلته

فى الليلة السابقة .... رأت نفسها تأخذ الصندوق والمسدس ، وتضع المسدس فى الصندوق لانها خافت أن تمسكه وهو محشو . ثم تخرج من البيت وتفرغ الصندوق مما به فى الظلام .... بل انها خافت أن تنظر اليه وهى تفعل ذلك ، ثم عادت الى البيت مسرعة وتركت الصندوق الفارغ على عتبة الباب .... تذكرت كل شئ فى وضوح تام .

وبعد أن غادرها كلايد فى الصباح خرجت وأسرعت الى السور الذى يقع خلف البيت ، وتبعتها مارى مارى وهى تنبح مسرورة .

وتخطت لويز السور ، ومضت الى وجار الكلب مباشرة ، وكان مثبتا الى السور بواسطة بعض المفصلات فوق فراغ صغير محفور فى الأرض حفره المالك السابق ومهدة بالأسمنت . وكان هو المخبأ الأمين الذى يمكن أن يكون كلايد قد أخفى فيه المسدس هو الآخر .

رفعت لويز الوجار من مكانه ولم تلبث أن رأت فى الفراغ زوجين من الأحذية ومسدسين فندت عنها تنهيدة .... لم يكن كلايد من الغباء بحيث يستخدم مسدسه بالذات .... كلا بالطبع .... كانت تحدق فى المسدس الذى اشتراه لها وفى مسدس آخر ..... هو المسدس الذى استخدمه .

واعادت الوجار مكانه فى صوت مسموع ، واستدارت فإذا بالمفتش تيللر واقف بجوار السور ، وتقدم منها وقال :

– صباح الخير . هل أستطيع أن ألقى نظرة أنا الآخر ؟ .

☆★☆

الدمية الحية

كان السبب الذى دفعنى الى الجلوس فى بار باتى أمام زجاجة من البيرة فى تلك الليلة هو أن اليوم كان طويلا وشاقا فى محل تافنى ... طويلا بسبب الساعات الأربع الاضافية التى تعين على أن أعمل أثناءها ، وشاقا لأن مستر تيمز المدير العام راح يدور حول المخزن الذى اعمل به طوال اليوم مصدرا أوامره عندما لا يكون هناك داع لها ويعجز عن اصدارها عندما تكون هناك ضرورة لها .

ومستر تيمز ، كالكثيرين غيره من الانانيين الذين لا يحسنون عملا ، كان يمارس عمله بجدية وصرامة . كان أنيقا جدا فى ثيابه وهو يتنقل من طابق الى آخر ومن قسم الى قسم ، ينظر الى العملاء وعلى وجهه ابتسامة جامدة ويرمى أى موظف يخيل اليه أنه يتهاون فى عمله بنظرة شذراء .

وينقضى الجزء الأول من السنة دون أن يفكر مستر تيمز فى ازعاج أحد أو فى عرقلة سير العمل ولكن ما أن يأتى شهر ديسمبر حتى يبدأ بالتجوال فى أرجاء المحل ويتغير تغييرا كليا وتصبح خطوته الأنيقة البطيئة أكثر سرعة ورعشة ، ويمر بسبابته من وقت لآخر على شاربه ويصعد بها الى صدغه دليلا على أن عقله الضيق لا يكف عن التفكير المبدع الخلاق .

كان كل العاملين فى المحل يعرفون ما يدور فى ذهنه عندئذ ، فقد كان مستر تيمز يفكر ويخطط من أجل العرض السنوى الكبير الذى يعرض فيه المحل مجوهرات بمليون دولار بمناسبة الاحتفال بليلة عيد الميلاد ، وهو عرض اشتهرت به محلات تافنى منذ عدة سنوات .

وبعد أن يقضى مستر تيمز الأسبوع الأول فى عمل ذهنى متواصل يعقبه أسبوع آخر من التخطيط المضنى الشاق فيضع التصميمات السريعة ثم لا يلبث أن ينبذها ويطرحها بعيدا عنه وتعقبها تصميمات أخرى لا تلبث أن تنبذ كذلك ، ويظل هكذا حتى يتفتق ذهنه عن الخطة التى يقبلها غروره . ومن عجب أن الخطة النهائية التى يرضى عنها لا تختلف ابدا عن الخطة التى اتبعها فى السنوات السابقة فيما عدا بضعة تغييرات طفيفة كتغيير لون الدعامات الأساسية والثياب التى يرتديها الأقزام .

ولا أدرى إذا كانت المجوهرات المعروضة تساوى مليون دولار حقا ولكننى أعلم أن النجمة التى تزين قمة شجرة عيد الميلاد التى تعرض فى وسط فترينة العرض تساوى مئات الألوف من الدولارات بكل تأكيد ، وهى وحدها ثروة ضخمة لمن يسعده الحظ بالحصول عليها .

وأنا لست لصا بالسليقة ولكن لكل رجل ثمنه ، وبضعة آلاف من الدولارات لها معناها بالنسبة لى ، وقد قضيت فى مخازن تافنى خمس سنوات اضطلعت فيها بالمسئولية التامة عن المحل أكثر من مرة وأصبحت الساعد الأيمن لمستر تيمز فى اعداد فترينة العرض، وهى مهمة كانت تتطلب منا الساعات الطويلة ، وراحت افكارى

تدور حول المجوهرات الثمينة المعروضة فى النجمة وحدها ، والآن، وأنا جالس فى بار باتى أفرغ زجاجة البيرة فى جوفى عادت نفس الأفكار تدور فى ذهنى فى محاولة للاستيلاء عليها بكل الوسائل.

ومهما يكن فإن العرض نفسه كان بمثابة تحد مثير ، فقد كان جانب الفترينة المطل على الشارع مزودا بستار حديدى مزخرف يتصل بجهاز انذار يدوى بمجرد أية محاولة لاغتصابه . زد على ذلك أن سيارات البوليس كانت تقوم بداوريات فى أوقات غير منتظمة فى الشارع فى حين كان المتفرجون يتوقفون لمشاهدة الفترينة طوال ساعات الليل والنهار تقريبا . أما من داخل المحل فلم يكن من المستطاع دخول الفترينة إلا عبر بابين من الحديد محكمى الاغلاق لا يمكن اقتحامهما بسهولة .

وعلى الرغم من ان فترينة العرض كانت تبدو محصنه بما فيه الكفاية فإن محلات تافنى آثرت ان تحمى نفسها بطريقة أكثر فعالية فأمنت على المجوهرات المعروضة بقيمتها الفعلية . وكانت شركة التأمين ، زيادة فى الاحتياط ، توفد فى كل سنة حارسا مسلحا يقف فى المحل طوال ساعات الليل بعد أن يغلق أبوابه .

نعم ، كان ذلك تحديا مثيرا ولم يسعنى إلا أن أفكر فيما قد يحدث لمستر تيمز الأنانى المغرور اذا ما اختفت تلك النجمة من أعلا الشجرة بالرغم من كل هذه الاحتياطات . ومع ذلك فإن احتمال وقوع هذا الأمر فى حد ذاته كان بعيدا جدا .

وارتفع عزف على البيانو فى هذه اللحظة فقطع على حبل أفكارى ، وحولت عينى الى الناحية التى ارتفع الصوت منها فإذا بطفلة صغيرة ، ترقص على خشبة المسرح ... كانت ترتدى مئزرة

قصيرة من غير أكمام فوق قميص لا يكاد يصل الى ركبتى سروالها المكشكش وتظل قبعتها احدى عينيها وتلف حول كتفيها حية طويلة ضخمة من الريش تصل الى أخمص قدميها .

وبعد ان خطرت على خشبة المسرح جيئة وذهابا راحت تغنى فى صوت رنان وتقول : « لا أريد أن أكبر وأصبح سيدة » .

ولم تكن تبدو بأكثر من طفلة فى الخامسة من عمرها ، ومع ذلك فقد استطردت تقول وهى تخلع قبعتها وتطوح بها على خشبة المسرح : « فان السيدات يجب أن يرتدين أشياء معقدة » .

وتهدل شعرها الذهبى فوق كتفيها وخلعت مئزرتها وطوحت بها هى الأخرى قائلة :

« وأنا أفضل الأشياء الخفيفة كالمجوهرات والماس » .

وظلت تخلع عنها ثيابها قطعة قطعة حتى لم يبق غير الحية المريشة التى أخذت تحركها فى مهارة كبيرة ، وأدركت عندئذ أنها ليست تلك الطفلة التى كنت أظنها وكانت قد فرغت من أغنيتها وراحت ترقص رقصة بهلوانية مثيرة .

وخطرت لى الفكرة بينما كانت تتلوى هكذا . خطرت لى فجأة بحيث وقفت مرة واحدة فانسكبت البيرة فوق المنضدة . وأسرع الساقى قائلا .

هل وقع شئ يا ماك ؟ قلت : كلا . وانما واتتنى فكرة نيرة .

قال وهو يمسح المنضدة بممسحته : حسنا .... لا تحاول أن تهتدى الى أفكار أخرى فواحدة تكفى .

أخرجت قلمى الرصاص وأخذت ورقة من دفتر مذكراتى وكتبت رسالة قصيرة وقلت وأنا أشير الى خشبة المسرح ما اسمها ؟ .

هز كتفيه وقال : انها معروفة عندنا باسم مينيتا . الدمية الحية .
قلت وأنا أعطيه الرسالة ومعها ورقة مالية : اعطها هذه ... وقل لها أن تأتى الى .

وبعد بضع دقائق أقبلت الدمية الحية الى مائدتي .... كان وجهها فاتنا وهى ترنو الى متسائلة . وكانت ترتدى ثوبا مكشوفا لا يخفى الكثير مما سبق أن كشفت عنه . ولم تكن بأطول من أحد أقزام عيد الميلاد بفترينة تافنى . وقالت :

- هل أنت الذى يتحدث عن مبلغ جسيم ؟ (نعم .

وبحركة رشيقة ارتفعت عن الأرض وجلست أمامى . وأصبحت عيناها الآن بمستوى عينى تقريبا واستطعت أن أرى أنهما خضراوان ضاربان الى السواد .... كانتا عينى شيطانة صغيرة .

سألتها فى شئ من الفضول : كم عمرك ؟

أجابت وهى تشير الى الساقى عمرى يسمح لى بتناول الشراب.

طلبت كأسا آخر من البيرة وطلبت هى كأسا لها رشفت جرعة منه وقالت وهى تنظر الى من فوق حافة الكأس :

وكم يبلغ هذا المبلغ الجسيم ؟ . قلت مطمئنا : أنه جسيم جدا .

- أهو فى حدود القانون ؟

أجبت هو ايراد حفلة لليلة واحدة أعظم حفلة فى حياتك العملية.

- تكلم . وفجأة أدركت أننى لم أرسم أية فكرة وان كل ما لدى عبارة عن مشروع غامض يمكن أن يتخذ شكلا كما انه يمكن أن ينهار ... مشروع بحاجة الى الدراسة والتفكير وكنت بحاجة الى معاونتها فى سبيل ذلك .

وأقبل زوجان وجلسا الى المائدة التى بجوارنا فى هذه اللحظة فقلت :

-- أنني لم أدرس كل الجـوانب بعـد ... هلمي بنا نذهـب الى مكان آخر .

قالت متراجعة : – اسمع ... انني سمعت في حياتي الكثير ، فإن كـان عندك أي شيء حقـا فتكلم الآن . أمـا إذا لم يكن الأمـر كذلك فيمكنك أن تتصل بي عندما تتضح تلك الأمور .

وأفرغت كأسها ووضعته فوق المائدة ، وهمت بأن تنهض ولكنني أمسكت بقبضتها ، وأحسست عندئذ بأنها تتمتع بقوة عجيبة وقلت:

– كلا . لا تذهبي واصغي الي جيدا ... ان هذه العملية لا يمكن أن تنتظر . يجب أن نبدأ فيـها من صبـاح الغد وعلينا أن نخطط لها الليلة معا .

استرخت قبضتها بعض الشيء وتذكرت مقطعا من اغنيتها عندئذ «انني أفضل الأشياء الخفيفة كالمجوهرات والماس» فقلت :

– الا تحبين أن تغطي كل هذه اليد بالماس ؟

نظرت الى يدها ثم رفـعت عينيهـا الي واستطعت أن أرى أن هذا المقطع يعني الكثير بالنسبة لها . وسألتني اخيرا :

– هل أنت صادق ؟

أومأت برأسي وقلت: كل الصدق . سنذهب الى مسكني و (مهلا وسحبت قبضتها من يدي وقالت هناك شيء يجب أن تعرفه أولا وذلك اذا حدث وظهر انك محتال فإن لي أخا وهو ليس بقزم مثلي.

قلت : – سنتحدث ، ويمكنك الانصراف أية لحظة .

ونهضت واقفا ورفعتها عن مقعدها وقلت : – من الأوفق أن تأخذي ثيابك فقد لا تحتاجين الى العودة هنا ثانية إذا سار كل شيء على ما يرام .

وبعد ساعة ، بعد أن أفرغنا نصف زجاجة من الويسكي كنا قد درسنا جميع النقاط ، ومن العجيب أن الخطة اتضحت وتشكلت ووافقت عليها وطالبت بأن يكون لها النصف مدعية انها ستتعرض لجميع الأخطار .

وأعطيتها كأسا آخر من الويسكي وقلت لها أنني أنا الآخر أتعرض للخطر أكثر منها وأن الفكرة فكرتي أنا وأن الصفقة يجب أن تتم على أساس حصتين : ٦٥ ٪ لي و ٣٥ ٪ لها .

مالت الى الخلف وألقت برأسها على كتفي وابتسمت ابتسامة ساخرة واقلت : اتفقنا .

وفي صباح اليوم التالي أخذتها معي الى المحل وعندما أقبل مستر تيمز لاصدار تعليماته قدمتها اليه قائلا : - مستر تيمز .... هذه اليس ، ابنة أختي .

وانحنت في حركة خرقاء بحيث مس طرف ثوبها الأرض . وتنازل مستر تيمز ونظر اليها من عليائه بطريقة تدل على أن ذهنه مشغول بحيث لا يهتم بالأطفال ، وقلت : ستبقى معي بضعة أيام ريثما تعود أختي من السفر .

وكما يفعل الأطفال أولت اليس كل اهتمامها الى الأقزام السبعة التي تنتظر النقل الى فترينة العرض ودرست ثيابهم وقبعاتهم واهتمت اهتماما خاصا بوجوههم المطلية ثم مضت وجلست بجوار صندوق فارغ من صناديق الهدايا كان معدا لكي يكون جزءا من العرض .

وفي حصة الغذاء أخذتها الى محل قريب واشتريت لها كل الأدوات التي حددتها لي : مقص وبعض الابر وقماش وأشياء أخرى ضرورية ثم اركبتها سيارة أجرة وذهبنا الى مسكني حيث تركتها هناك لكي تقوم بعملها .

ورافقتني الى المحل مرة أخرى في اليوم التالي وقد علقت على كتفها حقيبة هاندباج ، وكانت الأقزام وأغلب الأشياء الأخرى قد نقلت من أماكنها الى فترينة العرض .... ونقلنا بقية المعروضات من اللعب والدمى وصناديق الهدايا الفارغة بشتى الأحجام وبالونات من الكاوتشوك .. ووضعنا كل ذلك حول الشجرة وتحتها بالطريقة التي عينها لنا مستر تيمز ، وعندما فرغنا من هذا العمل بقي مستر تيمز وحده لكي يضع اللمسات الأخيرة لعرض المليون دولار ثم يغلق الأبواب بعد ذلك ويعطي المفتاح لمفتش شركة التأمين.

ونظفت المخزن بمعاونة مساعدي روبي من البقايا والفضلات التي تجمعت في الأيام الأخيرة والقينا بها في المرمد الذي يقع خلف المخزن وأشعلته ثم اغتسلت ومضيت الى المقهى لكي اتناول فنجانا من القهوة .

وفي تمام الساعة الثامنة كنت أقف أنا ومستر تيمز وستة آخرون من موظفي البنك في الشارع ننظر الى فترينة العرض ، وكانت قد هبت ريح شتوية وراح رذاذ خفيف من الثلج يتساقط ويتجمع فوق الأسفلت .

وأعطي مستر تيمز الاشارة فلم تنقض لحظات حتى ارتفع الستار السميك عن الفترينة وصاح كل منا عجبا ارضاء لغرور مستر تيمز . للعرض البطيء الذي تبدى والستار الحديدي يرتفع شيئا فشيئا .

ففي وسط الفترينة التي يضيئها نور خافت بدت شجرة عيد الميلاد الضخمة وحولها اللعب وصناديق الهدايا ، وعلى اليمين ، في أخر الفترينة كان هناك باب مكتوب عليه كلمة « الورشة » ومنه تقدم قزم في حركات بطيئة فوق قضيب حديدي غير ظاهر وفي

يديه المبسوطتين صندوق مبطن بالمخمل يحتوى على خاتم سوليتير وعقد من الماس ، وكان يحمل الصندوق بطريقة تتيح للمتفرجين فى الشارع رؤية محتوياته . وبعد أن اجتاز القزم الفترينة بطولها توقف أمام بابا نويل ضخم لم يلبث أن هز رأسه بطريقة آلية علامة على الموافقة ثم استدار القزم وسار فى طريق آخر حيث اختفى خلف شجرة عيد الميلاد .

وجاء قزم آخر لكى يحظى بموافقة بابا نويل ، وهكذا حتى مرت الأقزام السبعة جميعا ثم بدأت القصة من جديد .

وكانت هناك بعض اللعب الميكانيكية مرصوصة فى أماكن متفرقة لم يزد دورها عن هز رؤوسها من جانب الى آخر وهى تغمز بعينها غمزات خفيفة .

ويشرف على كل هذا النجمة الكبيرة التى تتوسط الشجرة ، وهى عبارة عن ياقوته حمراء بلون الدم على قاع من المخمل لها فروع خمسة متصلة بعدد فروع النجمة وبكل فرع ثلاثة صفوف من الماس . وكانت الأضواء كلها مسلطة على النجمة ، والنجمة نفسها تدور فوق الشجرة ببطء وتتلألأ تحت الأضواء فينعكس منها انعكاسات شتى تضفى عليها لونا من الفتنة والسحر يزيدهما دوران الأقزام حول الشجرة جمالا وروعة .

نعم ، كان مشهدا جميلا رائعا باهظ التكاليف ، ورحنا نصافح مستر تيمز العبقرى ونقدم له تهانينا .

وما أن خلا الشارع من المارة والمتفرجين الذين كانوا قد تجمعوا أمام الفترينة حتى رفعت ياقة معطفى وأسدلت حافة قبعتى فوق جبينى وواجهت الرياح ودخلت أول سينما وجدتها فى طريقى.

وبعد ثلاث ساعات كنت جالسا أمام منضدة فى المقهى ومعى

فنجان من القهوة وجريدة مطوية فوق المنضدة يطالعني من مكاني منظر فترينة محل تافني في وضوح .

وكان الوقت قد قارب منتصف الليل ، وكانت العاصفة قد اشتدت ولم يكن هناك إلا قليل من المارة كان بعضهم يتوقف لحظة ليلقي نظرة على ذلك المنظر الرائع .

وأشعلت سيجارة ورشفت قهوتي ثم فتحت الجريدة وانتظرت وقوع ما أتوقع وقوعه .

وفجأة ، وبدون أية مقدمات ارتفع غطاء علبة كبيرة من علب الهدايا وخرج منه قزم صغير يرتدي نفس الثياب التي يرتديها الأقزام الميكانيكية ووجهه مطلي كوجوههم وقف مكانه جامدا لا يتحرك عندما أقبل أحد المارة ووقف أمام الفترينة .

أسرعت أرتد البصر حولي . كان هناك رجل جالس بجوار النافذة وأمامه كتاب مفتوح ولم يكن هناك ما يدل على أنه على علم بما يدور في فترينة تافني .

وعدت أنظر الى الفترينة من جديد. كان المتفرج قد انصرف وراح القزم يسير الآن في حركات رشيقة اشبه بالحركات الميكانيكية ، متقدما نحو بابا نويل ، ولم يتوقف أمامه لكي يحظى برضائه كما يفعل الأقزام الآخرون وانما دار حوله واختفى خلف شجرة عيد الميلاد .

وأردت أن أضحك ولكنني تمالكت نفسي كنت أعرف ما سيجرى لكل قزم عندما يختفي عن الأنظار خلف شجرة عيد الميلاد ، لهذا لم أشعر بأية دهشة عندما عاد كل قزم الى الظهور ثانية وقد أغلقت علبة المجوهرات في يده بعد أن أصبحت فارغة مما بها ، ولكنني ذهلت عندما انحرف أحد الأقزام عن الطريق المعتاد ووقف

تحت الشجرة ثم استدار لكى يواجه زجاج الفترينة .. وقد أخفقت عندئذ فى التفريق بين القزم الحقيقى والأقزام الأخرى .

وتوقفت ثلاث من النسوة يرتدين معاطف من الفرو أمام النافذة لمشاهدة العرض . ومرت عربة الداورية فى هذه اللحظة من غير أن تتوقف ، ولم يلق أحد اهتماما خاصا بالقزم الذى جمد مكانه وأصبح كالأقزام الأخرى تتحرك رأسه بسرعة من ناحية لأخرى وهو يغمز باحدى يديه فى حركة كأنها ميكانيكية .

نعم ، لقد قامت مينيتا ، الدمية الحية فى تلك اللحظة بأحسن أدوار حياتها الفنية .

وعندما انصرفت النساء الثلاث راحت مينيتا تتحرك ثانية كما لو كانت تحركها آلة خاصة وفى خلال دقائق كانت الحلى والمجوهرات قد اختفت من فروع الشجرة .

وفى بطء أخذت تصعد فوق علب الهدايا المرصوصة كالأهرامات بجوار الشجرة . وكانت تتوقف كلما مر واحد أو كلما أقبل البعض الى الفترينة وتعاود صعودها بعد انصرافه وعندما اقتربت من قمة الشجرة توقفت انفاسي فقد كان ذلك المشهد هو الأخير من الدراما، وكانت هنا ذروة الاخراج، فقد تمت أكبر سرقة لن ينساها التاريخ وسوف يبقى سرها مستغلقا الى الأبد فقد امتدت يد كأيدى الدمى الى النجمة وتوقفت.كان وجه القزم ينظر الى مباشرة وأنا واثق إننى رأيته يغمز لى بعينه ثم أخذت اليد الياقوتة من مكانها فاختفت على الفور الانعكاسات المتألقة .

رددت البصر حولى مسرعا مرة أخرى وتوقف قلبى فجأة عن خفقانه ، فقد اختار الرجل ، صاحب الكتاب هذه اللحظة بالذات لكى يرفع رأسه عن كتابه . ولم استطع أن أرى وجهه ولكن بدا من هزة رأسه أنه من المستحيل أنه لم يلحظ التغيير الذى طرأ على المشهد الذى أمامه .

انتظرت . ثم عاد قلبي الى من جديد عندما خفض الرجل رأسه فى بطء وعاد يقرأ كتابة .

وبعد دقيقتين عاد القزم الى صندوقه وأطبق الغطاء عليه .

نهضت واقفا ، وكادت ساقاى أن تخذلاني لفرط تجمدهما . لم يكن هناك ما أفعله الآن الا أن أمضي الى عملى فى الوقت المعتاد . وستكون السرقة قد اكتشفت عندئذ وسيكون هناك تحقيق وستعم الفوضى . وما على الا ان اختلط بالموجودين وفى اللحظة المناسبة تظهر ابنة أختي بجوارى وعلى كتفها الهاندباج ، وسأخذها من يدها الصغيرة وأمضي بها فى رفق الى الخارج . وسينتهى الأمر هكذا .

ولكن لم تجر الأمور كما رسمت وخططت ، فعندما مررت بفترينة العرض فى الصباح التالى رأيت أن الستار الحديدى مسدل مما يدل على أن السرقة اكتشفت طبعا ، ولكن ما أن دخلت المحل حتى رأيت انه ليست هناك أية فوضى وليس هناك أى هرج أو مرج ، فقد كانت الأبواب الحديدية المؤدية الى الفترينة مفتوحة وبداخل الفترينة نفسها يقف أحد رجال الشرطة فى هدوء ووقف هنا وهناك بعض الموظفين شاحبى الوجوه وقد تدلت رؤوسهم على أكتافهم ... كان يبدو كما لو أن هناك جنازة فى الطريق .

واعترضت مس برنتس الموظفة بقسم الخردوات طريقى وهى تركض وتشير بيديها : أوه يا مستر جونس ... وقع شئ مريع ... الفترينة .... المجوهرات .... ذهبت ... اختفت فى الهواء .

تظاهرت بالدهشة فى حين استطردت هى تقول :

لاحظت الداورية فى الصباح الباكر ان هناك شيئا غير عادى فاستدعوا مستر تيمز وبعضا منا وأقبل رجال التأمين ودار تحقيق.

قاطعتها أقول : واللص ؟ ... هل امسكوا به ؟

- اللص ؟ ...ماذا تقول يا مستر جونس ؟...أنك تعرف أن ما من أحد يستطيع الدخول أو الخروج من الفترينة . ان المجوهرات اختفت ، كما لو كانت بفعل ساحر .

حسنا ... لقد مر كل شئ على ما يرام اذن .... على الأقل لم يكتشف أحد أمر مينيتا بعد وكل ما على الآن هو أن انصرف لكى اتخلص من مس برنتيس وأن أنتظر اللحظة المناسبة .

وتقدمت من الفترينة ومس برنتيس تتبعنى . وأفسح الشرطى لى الطريق . ومن نظرة واحدة من خلال الباب عرفت لماذا أفسح لى الطريق بسهولة ، فإن المنظر الذى كان من أروع المناظر وأجملها أصبح الآن عبارة عن خرابة ، فقد كانت الشجرة مكانها والى جوارها قزمان ، أما الباب المزيف الذى كان مكتوبا عليه كلمة الورشة فقد تمزق واختفى بابا نويل كما اختفت كل علب الهدايا من تحت الشجرة بما فى ذلك الصناديق الكبيرة . كان يبدو كأن أعصارا مر بالمكان . وسرت فى بدنى قشعريرة من الخوف .

وقالت مس برنتيس وهى تدفع برأسها داخل الباب :

- مسكين مستر تيمز ! .... لقد تملكته نوبة من الغضب وراح يشد شعر رأسه ويصرخ ، ومزق كل شئ وألقاه بعيدا .

تحولت اليها على عجل بحيث كدت ارتطم بها وقلت أين ألقاها ؟

قالت وهى تحاول أن تستعيد توازنها : - فى المخزن .... نقل كل شئ هناك و ....

أخذت طريقى نحو المخزن مسرعا .... لعل الأمور ستكون على ما يرام كما توقعت . وطوح بها كلها فى المرمد .

توقفت وأنا أصرخ : - ماذا ؟ .

قالت مس برنتيس وهى ترفع يديها الى جانبى رأسها : - يا له من رجل مسكين ... انه خرج عن وعيه تماما ... وأصابة مس من الجنون ، وراح يلقى بكل شئ فى المرمد وحملوه فى عربة أسعاف منذ دقائق قلائل وهو فى حالة من الهياج .

لم أصغ اليها أكثر من ذلك . وأسرعت الى المخزن وفتحت بابه واندفعت اليه . كانت الأرضية مملوءة بأوراق الشجر والأسلاك وقصاصات الورق .... ولكن لم يكن هناك شئ آخر .

وجريت الى المرمد وفتحت بابه وما كدت أفعل حتى واجهتنى لفحة من اللهب فأسرعت أغلق الباب على الفور .

ودارت الغرفة بى فجأة وأخذنى الغثيان فتشبثت بالجدار .

ولم أدر كيف تلمست طريقى الى خارج المحل . وسمعت بعضهم يقول : يا للرجل المسكين !. لا أدرى ماذا سنصبح جميعا .

وفى مسكنى فتحت زجاجة من البيرة المثلجة . وجلست على الأريكة وأخذت أنظر فى الفضاء وأخيرا وجدت نفس أنظر الى الثوب الحريرى الملقى على الأريكة بجوارى فأخذته وأخذت حقيبتها الصغيرة وأخفيتهما مع غيرهما من المعدات والأدوات التى تركتها خلفها فى حقيبة كبيرة دفعت بها تحت الأريكة بعيدا عن الأنظار . كان على أن أتخلص منها ان عاجلا وأن آجلا .

وتساءلت كم من الوقت سيمر قبل أن يفتقدها أحد أو قبل أن يبحث عنها ... لقد قالت أن لها أخا .

ولم أغادر مسكني طوال يومين ألا لكي اشترى بعض زجاجات البيرة .

وأثارت الجريدة المحلية ضجة حول المسألة واحتلت انباؤها صفحاتها الأولى .... ثروة من المجوهرات تختفى تحت عيون المتفرجين ورجال الشرطة .... الجريمة الكاملة .... ومستر تيمز تحت العلاج فى مستشفى المدينة .... انهيار عصبى .

ألقيت بالجريدة جانبا ... فليذهب مستر تيمز الى الجحيم ... أنه رجل أنانى وقد تحطم غروره ولا شئ أكثر .

ولم أستطع العودة الى عملى بالمحل إلا بعد أسبوعين تقريبا .... وهناك لم أجد من نفسى الجرأة على النظر الى المرمد .

وكان هناك عمل كثير لحسن الحظ . وقد قام روبى بعمله أثناء غيابى خير قيام . وكانت هناك طلبات كثيرة من مختلف الأقسام فأخذت طلبا منها وجيئت بصندوق وبدأت العمل .

وسمعت روبى يقول خلفى وهو يسمر أحد الصناديق بشاكوشه .

- مسكين مستر تيمز .

ولم أرد عليه . فلم أعبأ بما حدث لذلك الرجل وعاد روبى يقول :

- أنه أصيب بأنهيار تام . وقد نصحه الأطباء بالراحة التامة ، وبعيدا عن كل شىء ، فى مكان مشمس ولم أعبا بذلك ايضاً .

- وقد ذهب بعض منا إلى المطار فى الأسبوع الماضى لتوديعه لأنه رحل إلى المكسيك هو وابن أخيه الصغير .

توقف الشاكوش فى يدى فى منتصف الطريق فى حين قال روبى : وهو صبى وسيم يبدو كما لو كان دمية حية .

كففت عن الاصغاء اليه وقد راحت شتى الاسئلة تدور فى ذهنى .

ماذا يفعل رجل أنانى يوم افتتاح تحفته بالذات .... ؟ هل يذهب الى بيته فى هدوء ويستلقى على فراشه ؟ .

أو هل يقف فى الشارع ويرقب ردود الفعل التى ترتسم على وجوه المارة ؟ ... ألا يأخذه الطمع والجشع وهو يشهد السرقة التى تقع تحت سمعه وبصره .

هل أصيب تيمز بنوبة حقيقية فى صباح اليوم التالى ؟ وهل ألقى بكل شئ فى المرمد حقا ؟ .

أو هل تراه خلق نوعا من الفوضى والارتباك أفرغ أثناءها صندوقا كبيرا من محتوياته ووضع فيه المجوهرات المسروقة بعد أن عقد مع مينيتا صفقة سريعة وتركها تخرج فى هدوء من الباب الخلفى للمخزن ؟ .

جلست فى أعياء على حافة الصندوق وقد أفلت الشاكوش من يدى وهززت رأسى وتنهدت ونظرت الى باب المرمد المغلق . كان من المحتمل جدا أن لا أعرف الحقيقة أبدا .

☆★☆

المحظوظ والكرة
بقلم ادليس

يبدو الملعب أثناء مباراة البايسبول أشبه بدار للمجانين فما بالك إذا كانت هناك جائزة كبيرة لمن يستطيع التقاط الكرة ؟ .

عندما توقفت للحصول على التصريح رماني الدكتور باركر بابتسامة عريضة ثم قال - هذا هو اليوم الكبير .... هل تشعر بانفعال يا جيمى ؟ .

قليلا يا سيدى .... أعنى يادون .... اننى تحت المراقبة .

لم يرق له أن أدعوه « سيدى » فقد كان المفروض اننا صديقان. وقال : - حسنا . حسنا استمر على هذا وتذكر أنه لابد أن تتمالك أعصابك .

قلت : - اسمع يا ...... دون ...... هل لابد لى أن أذهب رأسا الى البيت ... الى بيتها ؟ .

بدأت ابتسامة الخبير تخبو وقال : - اننى لا أفهم يا جيمى .

- اليك ما أعنيه اذن .... هذه أول مرة أقضى فيها عطلة نهاية الأسبوع فى الخارج ونحن نعرف معا أنها ستبدى اهتماما كبيرا بى وانها ستعاملنى كما لو أننى موشك على الموت .... مهلا يا دون أننى أستطيع أن اتقبل هذا بل اننى أتوقعه ... وأنا فى أجازة ... خارج مستشفى للأمراض العقلية وسينظر الى الناس فى استغراب .... وهذا كما تقول انعكاس لآرائهم الفاسدة عن

العقل المريض ....ان ما أعنيه هو أنني سأذهب الى المدنية قبل الظهر ،ويطيب لي أن أختلف الى السينما أو أن أتجول قليلا وأخلو الى نفسي ثم أذهب بعد ذلك .... القاء أمي في وقت العشاء .

ربت الدكتور باركر بيده على كتفي وقال : - طبعا يا جيمي ..... أريدك أن تخرج وأن تلهو وتذكر أنني لو لم أكن اعتبرك على استعداد لمواجهة العالم الخارجي ما كنت لاقترح أن تخرج لقضاء عطلة نهاية هذا الأسبوع في الخارج . ومادمنا نعرف أنا وأنت طباع أمك الاستبدادية أكثر مما تعرفه هي فإنه يتعين عليك أن لا تقضي فترة العطلة كلها معها فإن هذا عمل غير سليم منكما . هذه تجربتك أنت .... وعليك أن تحرص على أن لا تتشاجر معها .

- انها ستحاول ذلك طبعا .

- الحق انها سوف تفعل عند أول لحظة تراك فيها ولكن عليك أن تتجمل بالصبر وان تتمالك نفسك .... تذكر انها امرأة مسنة وانها تحبك كثيرا وانها اخطأت حين بنت كل حياتها حولك . ادر دفة الحديث نحو انباء العالم ونحو الكتب والأفلام ... انك قرأت الصحف اليوم طبعا ؟ .

أجبت : - أوه .... طبعا يا دون .

ولم أكن قد القيت نظرة واحدة على الصحف في غرفتي ولم أشأ أن أعترف له بذلك حتى لا أثير قلقه وحتى لا أجازف بالغاء الأجازة .

- حسنا . امض الى السينما بعد الظهر اليوم ثم تناول العشاء وشاهد التليفزيون مع أمك . ثم اذهب صباح السبت لزيارة بعض

اصدقائك القدامى ... وادع احدى الفتيات الى نزهة ما ... ولكن وحدك ولا تصحب أمك معكما ... ثم تناول العشاء معها مرة أخرى ويمكنك بعد ذلك أن تصحبها الى المسرح أو الى حفلة موسيقية وتناول أفطارك يوم الأحد ثم ودع أمك وأفعل بعد ذلك ما يحلو لك قبل أن تعود هنا فى الساعة السادسة يا جيمى. أنت وحدك تعرف ما يناسبك أكثر منى . ويجب أن تكون دائما على رأس الأحداث .

– أننى افهم يا دون .

وربت على كتفى مرة أخرى وقال : – حسنا ... حسنا ... استمتع بوقتك ولكن اقلل من الخمر .

أومأت برأسى فإن الخمر لم تكن تعنى شيئا بالنسبة لى .

– وفوق كل شئ لا تفقد جأشك ولا تحقد .

مرت ساعتا الرحلة على ما يرام ولكن المدينة أثارت خوفى كل الخوف فإن الزحام كان شديدا والتوتر السائد فى الجو كان كأنه ستار مقيد وقلت أحدث نفسى « حسنا . تمهل . تذكر انك الآن كالفلاح الذى لم ير المدينة منذ وقت طويل .... لم ير المدينة ولا الناس ولا حتى الواقع منذ ثلاثة عشر شهرا . فتمهل... تمهل جدا .

ورحت أتجول هنا وهناك مع الجميع الذين راحوا يتدافعون وهم فى عجلة من أمرهم كما لو كانوا لا يملكون دقيقة واحدة يخلدون فيها الى الراحة وتملكنى الضجر ولم أشأ أن أذهب الى البيت حيث أمى أو أن ازور أحدا من اصدقائى وأن المس الشك فى صوتهم وهم يصافحوننى ويتساءلون إذا كنت خطرا أم لا .

ومررت بدار السينما فدخلت . وبدا الظلام ملاذا مريحا فى البداية

ولكن الفيلم كان سخيفا جدا فبدأت أشعر بالجزع ..... كما لو كنت أتألم من وهم للمرة الثانية .

وخرجت من السينما وأحسست بالجوع وطلبت شطيرة وكوبا من عصير البرتقال فى أحد المطاعم وكان البائع يتحدث مع رجل أسود وقد خاطبه قائلا: ياله من يوم.شديد الحر..أنه يوم من هذه الأيام التى تروق لى ...لعله يفعلها...ليتنى كنت فى أجازة اليوم .

قال الرجل الأسود وهو يقضم شطيرته : - وأنا أيضا .... أننى واثق انها ستكون مباراة بايسبول كبيرة اليوم .

قلت : - معذرة .... هل هناك مباراة فى الكرة اليوم ؟ .

تحول الرجلان الى ورائها يحملقان فى . وشعرت بالغضب يغلى فى عروقى وعندما هممت بأن اسالهما لماذا يحدقان فى هكذا ضحك البائع فجأة ضحكة رقيقة وقال فى هدوء :

- أين كنت يا رجل ! .... هل هناك مباراة اليوم ؟ ... ولكن هذه هى مباراة العصر .... آخر فرصة لروكى بارنس لكى يضرب الرقم القياسى فى بلوغ الهدف ... نعم يا رجل ... هذه آخر مباراة فى الموسم وستكون مباراة ولا كل المباريات .

اوه. اننى كنت ...فى الخارج هل ستقام المباراة فى الاستاد؟

قال الرجل فى وضوح على الرغم من ان فمه كان مملوءا بالطعام : - طبعا وستبدأ قبل أقل من ساعة .

أخذت القطار المحلى الى الاستاد فقد كان القطار السريع مزدحما جدا . ولكن القطار المحلى كان لابأس به . وكان الاستاد فى البداية مخيفا فهذا الهدير المستمر لآلاف من المتفرجين الذين يصيحون ويصرخون .... ولم أجد له معنى .... وكنت أجلس فى المدرج فانتقلت الى مكان شبه مقفر ولم يكن باستطاعتى أن أرى

الجولرن جيدا ولكن المكان كان مشمسا وكنت فيه بعيداً عن تدافع المتفرجين تزاحمهم وكنت قد اختلفت الى الاستاد مرارا كثيرة قبل اليوم وكنت استمتع بالنظر الى الناس والفتيات على الرغم من فرقعة الأصوات فى اذنى ... يا الله ! كلما اشترك هذا البارنس فى اللعب راح الجميع يصرخون ويصيحون كالمجانين .... ويبدون اسوأ من هؤلاء القوم الذين يحتجزونهم فى المبنى رقم ٣٢ .... ومع ذلك فهم طليقو السراح.

وكنت أرى بارنس جيدا وهو يلعب فى أقصى الملعب وبدا لى أنه على غير ما يرام فقد كان وجهه متعبا وبادى الانفعال . وتساءلت لماذا يبدو اللاعب منزعجا هكذا فى آخر مباراة فى الموسم . وأثناء الشوط الرابع راح يضرب الكرة بسرعة وعلى الرغم من انني لم استطع رؤيته فقد أحسست بالتوتر الذى يسود الجو وسمعت فرقعة المضرب.. والضجيج الهادر والصاخب لخمسة وعشرين ألف متفرج وارتطمت كرة البايسبول بالدرج المسقوف ثم أرتدت نحوى وتدحرجت عند قدمى وكنت وأنا صبى قد أمسكت الكرة قبل أن تصيب الهدف فى نفس هذا الاستاد و ...

تنبهت فجأة الى الصمت المطبق حولى . ووقف الجميع وقد اشرأبت أعناقهم الى . وراح الفتيان والرجال يدقون مقاعدهم نحوى ويصيحون كلهم ويهدرون كالمجانين . ولم ألبث أن رأيت شرطة الاستاد يسرعون نحوى فتملكنى خوف شديد وأردت أن أصيح ماذا بكم .... هل أنتم مرضى ؟ .... أننى لم أفعل أى سوء ... كل ما فعلته هو أننى التقطت الكرة فى المدرج و .... ماذا دهاكم جميعا ؟ .

اطبقت عيناى وعندما فتحتهما كان الناس لا يزالون يسرعون

الى ففقدت جاشي وغلبني الخوف فاستدرت وهربت نحو مكان متفرق خلال أحد أنفاق الخروج وعندما خرجت منه لم أدر الى أى ناحية أذهب وفيما عدا الهدير الذى خلفته ورائى سمعت وقع أقدام ولم يلبث ان ظهر رجل ضخم يرتدى قبعة قذرة وقميصا رياضيا فاقع اللون وهجم على . وكانت له عينان براقتان ووجه أحمر وصاح وهو يمد اصابعه القذرة نحو يدى :

- اعطنى الكرة .

- لماذا . أنا الذى التقطتها وهى لى . هل أنت ؟ ....

ولكنه ضربنى قبل أن أفرغ من قولى وتفاديت الضربة بأن تلقيتها على كتفي . وكانت ضربة قوية . ولكننى كنت تحت المراقبة وكنت أمارس الألعاب الرياضية في المستشفى فلم أشعر بأى خوف وأنا أصارعه غير اننى خشيت أن أقسو فى معاملتى له ولهذا اكتفيت بأن أتلقى ضرباته بيدى وسألته : - ماذا بك يا صاحبى .... ماذا دهاكم جميعا ؟ .

واستمر يضربنى وتلقيت ضرباته بساعدى وأفلتت كرة الشر من يدى وتدحرجت تحت احدى المناضد المعدة لبيع المرطبات . وتحول الرجل عنى وزحف تحت المنضدة .

وغاب عن عينى وتساءلت فجأة هل هناك حقا شخص ضخم أقام كل هذه الضجة بسبب كرة ؟ وزحفت تحت المنضدة .... ولكن ليس لكى أتعارك وآخذ الكرة ولكننى أردت فقط التأكد مما إذا كان الرجل موجودا حقا ..... أو إذا كنت قد جننت من جديد .

بيد أنى وجدته هناك متكوما حول نفسه والكرة فى يده اليمنى

وعندما رآنى شهر فى وجهى مسدسا فى يده اليسرى وقال : اغرب عن وجهى .

– اسمع ..... أرجو أن تخبرنى عن السبب فى كل هذا ....

وحرك المسدس بيده اليسرى بطريقة خرقاء وكنت أكاد ألمسه فأمسكت المسدس بقبضتى وحولت فوهة المسدس نحو قميصه القذر وأنا أقول :

– أرجو أن تخبرنى لماذا تهددنى بهذا المسدس ..... لماذا ؟ ..

وحاول أن يقاوم وان يحرر ذراعه ولكننى شددت الضغط عليه . وعلى الرغم من اننى كنت مذهولا فقد كنت فخورا من نفسى فى نفس الوقت فقد كنت فى أعماقى شديد الهدوء والبرود وقلت أنك تهددنى بالقتل من أجل كرة لماذا ؟ .... هل أنت مريض ...

ودوى انفجاران ضاعا وسط الهدير الصاخت واحترق قميصه القذر فجأة وبأن به ثقبان راح الدخان يتصاعد منها ثم انبثق الدم وافلتت يده اليمنى الكرة فجأة .

ولما كنت أعلم أن هذا لايمكن أن يحدث فقد وقفت أحدق فى عينيه الميتتين . بل أننى لمست بشرته الشاحبة ثم خرجت من تحت المنضدة ووقفت بعيدا وأنا مدرك بأن ثيابى قد اتسخت ورحت أنظر حولى ثم بدأت أعدو ، وخرج من النفق ثلاثة من رجال الشرطة اصطدمت بهم تقريبا فأمسكوا بى وقال أحدهم :

– هالو .... ها هى الكرة .

قلت وأنا لا أفكر فى مقاومتهم : – من فضلكم ..... من فضلكم ماذا يحدث هنا بحق السماء ؟ .

لطمنى رجلان منهم فى ظهرى .... فى رفق تقريبا وسط هذا الكابوس الغريب وقال لى أكبرهما :

- سنذهب الى المكتب .... انك فعلتها .....

- اصغ الى.. انني لم أفعل شيئا... عليه اللعنة.... أنه هو ...

وقال الرجل ونحن نمشي : - أنك رجل محظوظ بكل تاكيد ...

ومررنا خلف السياج بالجمهور الصاخب الذى أولى ظهره للملعب وراح يصيح ويشير الى وبدأت أقول وقد شعرت بالجفاف في حلقي :

- هل كان هذا ..... حدث حقا ؟ .

عاد الشرطي الأكبر سنا يقول : ماذا ؟.. طبعا من المؤكد أنك رجل محظوظ . هذه هي الكرة التي ضربت الرقم القياسي . ما عليك إلا أن تسلمها في المكتب فتحصل على العشرة آلاف دولار كما ذكرت الجرائد..عشرة آلاف دولار مقابل لحظة عمل و ...

قلت : - عشرة آلاف دولار ...... أتقول حقا ؟ .

ضحك رجال الشرطة وقال أحدهم : - ان المحظوظ مذهول ... لو انني كنت مكانه لذهلت مثله عندما أرى في يدى عشرة آلاف دولار . أيها الشاب . انك ربحت المبلغ حقا . وسيخف المصورون ومراسلو الصحف اليك وستظهر في التلفزيون...ابتهج يا صاحبي.

رميته بنظرة عتاب ... وأنا أتساءل متى يعثرون على الجثة تحت المنضدة . لن يهم ابدا كيف أعلل وجودها فلن يطلق سراحي من المستشفى الآن .... الى الأبد .

وابتعدنا عن المكان واختلطت بالجمهور الصاخب وسمعت شخصا يقول في شبه غموض : حذار..لقد أغمي على المحظوظ.

☆★☆

الجريمة الثانية

لم يكن أى من الشرطيين ليستطيع أن يذكر كيف ولا لماذا اكتسبا هذه العادة .

كانا مولعين بمشاهدة العمال وهم يهدمون تلك البيوت القديمة فى الناحية التى ستقام فيها العمارة السكنية الكبيرة ، وكلما سنحت لهما الفرصة كانا يمضيان الى تلك البقعة ويوقفان سيارتهما ويهبطان منها احيانا وأحيانا يبقيان فيها . وكانا يتراهنان بمبالغ صغيرة على اللحظة التى سينهار فيها جزء من الجدار أو على العامل الذى سيكون أول من يتوقف لكى يدخن سيجارة أو على الوقت الذى سينقضى بين نقالتين محملتين بالانقاض . وكانا يعرفان بالنظر عددا كبيرا من العمال كانا يبدآنهم بالتحية فى أغلب الأوقات .

كان باس شابا قوى الشكيمة عريض الكتفين بدينا بعض الشئ ، أزرق العينين . أما سلمون فكان طويل القامة نحيف العود بارز الأسنان بحيث أنه لم يكن يستطيع أن يطبق فمه تماما .

كان باس وسلمون مخبرين سريين ، يدعونهما زملاؤهم من رجال البوليس بداورية السمك فقد كانت باس كلمة انجليزية معناها السمك القاروس وسلمون اسم نوع من السمك ، ولهذا

السبب كان باس وسلمون يتحاشيان التواجد بقسم البوليس بقدر الأمكان . كان مقضيا عليهما البقاء معا ولكنهما كانا ناجحين جدا فى عملهما .

وفى ذلك اليوم انهمكا فى العمل طوال النهار ، ولم يتمكنا من الذهاب الى مكان الهدم قبل الساعة الثانية ووقفا على الرصيف المقابل للرقم ٧٤٨ حيث كان العمال يزاولون عملهم فى ذلك الوقت وأخذا يشاهدان كمية من الجبس والأنقاض وهى تهوى فى عربة النقل .

أوقف سلمون المحرك فى حين سعل باس وقال :

- آه .... ألا يؤثر غبار الأنقاض على الرئتين ؟ .

هز سلمون رأسه وهبط الرجلان من العربة وبدءا يعبران الشارع . وعندئذ خاطبهما سائق عربة النقل قائلا :

- هل أتيتما بسبب ذلك الحادث ؟ .

سأله سلمون : أى حادث ؟ .

- ذلك الرجل الذى عثر على بعض المجوهرات وهرب بها .

قال باس : هل تمزح ؟ .

احتج السائق قائلا:سلا أى شخص غيرى.. سوف يقول لكما .

إلتفت سلمون الى زميله وقال : سأتحقق من ذلك .

وعاد الى السيارة وتناول سماعة تليفون جهاز الاستقبال والأرسال لكى يخبر القسم أنه يغادر السيارة هو وباس لبضع دقائق للتحرى .

وكان باس واقفا فى انتظاره ينظر فى شرود الى الألواح

الخشبية والأبواب القديمة التى أقيمت كالجسور للانتقال بين المساكن المهدمة . وعندما عاد سلمون اتجه الاثنان الى الكوخ الذى يشرف منه رئيس العمال على عمليات الهدم . ورآهما هذا الأخير يتقدمان فوقف بجسمه الضخم أمام الباب وقال فى صوت أجش : هل من خدمة استطيع اسداءها لكما ؟ .

قال باس مكشرا : اننا أتينا بسبب المجوهرات .... من الذى عثر عليها ؟ .

صاح دونلان : آه .... هو تونى أمالفى .

وتناول مضرب بيزبول قبل أن يعبر الرصيف المشقوق ودخل مكانا كان دكانا فيما سبق . وكانت رائحة الملاط والعفن تملأ المكان وقال : - توخيا الحذر .

وراح يضرب الألواح الخشبية بمضربه فى قوة ليتحقق من صلابتها وأردف : - لا يدرى أحد مدى صلاحيتها واحتمالها .

وصعد سلما من غير درابزين حتى بلغ الدور الثالث ، ولم يكن مسقوفا ، وشق طريقه ، يتقدمهما ، وسط الأنقاض نحو فتحة كبيرة فى الحائط . وعبر شقتين أو ثلاثا فى مراحل مختلفة من الهدم وبلغ اخيرا شقة يعمل بها بعض العمال وقال :

- أيها الرفاق ... هذان الضابطان يريدان التحدث معكما .

نظر سلمون الى العمال ثم الى الجدران التى كانت تضم فيما سبق غرفة زرقاء اللون . كانت الواح كبيرة من الجبس قد سقطت على الأرض وكشفت عن الكتل الخشبية ، ورأى مدفأة تهدم جزء منها كشف عن بقعة من السماء الزرقاء .

وتولى باس الاستجواب ... بينما كان تونى أمالفى يقوم بهدم

المدفأة أطلق صرخة فجأة ، وحسب زملاؤه أنه أصيب بجرح ولكنه كان قد كشف عن فجوة في المدفأة خرج منها صندوق مجوهرات ولكنهم غير متأكدين من ذلك لأنه أطبق غطاءه قبل أن يتمكن أحد منهم من رؤية ما بداخله .

وكان لكل منهم رأية الخاص فى طبيعة محتوياته فمن قائل أنها مجوهرات ومن قائل أنها أوراق مالية أو مستندات قديمة . ولكن الشئ الوحيد المؤكد هو أنه عثر على صندوق وأنه وضعه فى صندوق طعامه وغادر المكان وهو فى شدة الانفعال .

فحص باس وسلمون الفجوة التى فى المدفأة فى عناية كبيرة . كانت فجوة مربعة طولها بطول قالبين من الطوب . وقال دونلان :

- ان تونى هذا مجنون .... انتظرا حتى يعود ، سأعرف عندئذ كيف أنتزع منه سره .

فسأله سلمون : أين يقيم ؟ .

- تعاليا معى الى مكتبى فأخبركما .

ولم يكن هناك ما يمكن عمله غير ذلك . وسجل سلمون العنوان وعاد وزميله الى عربتهما وانهمكا في العمل بعد الظهر ولم يجدا من الوقت متسعا للتفكير فى تونى أمالفى ، فلم يكن الأمر ببالغ الأهمية خاصة وأن تونى لم تكن له صلات كافية تتيح له التصرف فى مجوهرات نفيسة ، ثم أنه إذا حاول الهرب بشئ ذى قيمة فلن يستطيع الفرار . واذا كان الشئ الذى عثر عليه شيئا تافها لا قيمة له فليس هناك داع للقلق ، ثم ان دونلان قال أنه سيعرف كيف ينتزع منه سره . ولهذا فسوف يمران بالمكان غدا ويستفسران عما حدث .

وفي صباح اليوم التالي تعين عليهما أن يحققا في حادث سرقة ... حادث عادي ولكنه أخذ منهما ساعة كاملة . وكانا في طريقهما الى مكان الهدم عندما استدعاهما عامل الراديو . وطلب منهما أن يمضيا الى زقاق متفرع من شارع ملفيل حيث تم العثور على جثة قتيل .

وكان زقاقا مسدودا بين عمارتين في احداهما مطعم ايطالي . وكان الشرطي الذي يقوم بالحراسة يلاقي أكبر العناء في صد جمهرة صغيرة من المتسكعين الذين يحاولون القاء نظرة . وأخلى سلمون وباس الزقاق من المتجمهرين ثم عادا الى حيث الجثة . كانت لرجل قصير القامة قوي العضلات يرتدي بذلة سمراء وتخفيه عن العيان بعض صناديق القمامة ، وكان ملقى على بطنه وقد تهشمت رأسه .

وقدم لهما الشرطي بعض الايضاحات فقال أن عمال المطعم يخرجون صناديق القمامة من الزقاق في الليل عادة ، وفي الصباح ينقلها البواب حتى الرصيف لكي يفرغها عمال النظافة في نحو الساعة العاشرة ، وأنه عندما خرج من المطعم في الصباح رأى الجثة فلم يلمس أي شئ .

وانحنى باس ولمس قبضة القتيل ثم اعتدل قائلا :

– أنه بارد ... مات أثناء الليل .

وقال سلمون مشيرا الى بقع من الدم في مدخل الزقاق :

– أنه قتل هناك ، ثم جره القاتل حتى هنا وأخفاه خلف صناديق القمامة حتى لا يراه أحد قبل الصباح . قطب باس جبينه وارتد خطوة الى الخلف لكي يرى الجثة جيدا ... كان ذراع القتيل يكاد يخفي وجهه ..... وقال :

– أننى رأيت هذا الرجل فى مكان ما .

قال سلمون ، وهو ينظر اليه ساخرا :

– قبحك الله أنت وذاكرتك .

وانحنى بدوره لكى يفحص وجه القتيل ، واعتدل خيرا وهو يقول : هذا صحيح . يخيل لى أننى رأيته أنا الآخر .

استدار باس ومضى حتى آخر الزقاق وتأرجح سلمون على عقبيه وراح يدور ببصره فى الأرض الممهدة . واذ انتهى من فحصه عاد ينظر الى الجثة من جديد . لم يكن هناك أى ريب فى أن أحد صناديق القمامة قد القى على الأرض فى عنف لأن عجينة من الجبن تطايرت وارتطمت بالحائط ولوثته . وكانت قد جفت ولكنها تساقطت ذرورا بمجرد لمسها .

راح المتسكعون ينظرون اليهما فى فضول . وسمع سلمون رجلا يقول : آه ما هذا .... ماذا وجد ؟

وارتفع صوت آخر يقول : جبن !

وقهقه رجل ثالثا وقال : جبن ! .... ها ..... ها !

وضج المتسكعون بالضحك فى سخرية أثارت انفعال سلمون ... أدرك أنهم يريدون منه أن يفعل شيئا له بعض الأهمية وأنهم ملوا الانتظار . ولم يكن يستطيع احتمال المدنيين اطلاقا فهم اما يخافون رجال البوليس واما يمقتونهم لغير سبب ، واستدار يواجههم فى تحد وفك أزرار جاكتته وفتحها لكى يريهم مسدسه فسكتوا على الفور خوفا ورهبة .

وعندما عاد باس من آخر الزقاق قال له سلمون :

– انني واثق أنه هو .... انك تعرف من أعنى طبعا ؟

اجابه باس بهزة من رأسه قائلا : – نعم .

لم ينطق أي منهما باسم توني أمالفي ، ولكنهما كانا واثقين أن هذا الأخير عثر على كنز حقا وأن هذا هو سبب مصرعه

زمجر سلمون وارتد حتى الجدار المواجه للمضجع واعتمد عليه . لم يكن هناك ما يفعله أي منهما غير انتظار قدوم الملازم وذوى الأمر الذين سيهتمون بكل شئ ولكن باس بالغ في الأمر وراح يتبختر هنا وهناك تفحص عيناه كل شئ في سرعة خاطفة ، وناداه سلمون فجأة وقال له :

– أنظر ..... ان بعضهم مشى فوق الفضلات تاركا لنا بصمة حذائه . أرأيت الى هذه البصمة ؟ ...انها واضحة . أليس كذلك ؟ .

انحنى باس في غير اهتمام ، وهم بأن يتقدم الى الأمام ولكنه توقف ، ورفع قدمه في حذر ونظر الى حذائه ثم قال في ايجاز :

– انها بصمة حذائي .... أنا الذي مشيت فوق الفضلات .

وراح ينظف كعب حذائه في عناية كبيرة . وبعد دقيقتين دوت أولى سرينة . وأصغى الملازم الى تقريرهما ثم تركهما تحت تصرف مدير الشرطة قائلا : انهما يتتبعان أثرا ، فهما يعرفان شخصية القتيل والدافع الى ارتكاب الجريمة ، واذا استطعنا أن نعرف على أي شئ عثر أمالفي فإن الأمور ستتضح على الفور والا أصبحنا أمام قضية معقدة .

قال مدير الشرطة في ثقة :

– ان تحقيقا دقيقا يمكن أن يكشف لنا سر الجريمة .

وأولى باس وسلمون اهتماما خاصا وقال :

– أرى أنكما ستشرفان ادارتكما . ما اسمكما .

أجابة باس في صوت خافت وكرر مدير الشرطة اسميهما في شئ من الدهشة ثم قال :انهما اسمان ليس من السهل نسيانهما .

واستطرد يقول . ولكن اتركا السردين وشأنه لأنني سأهتم بأمركما شخصيا .

أومأ سلمون برأسه وشق طريقه بين الجمهور وهو يدفعهم بمنكبيه وأحس فجأة بأن هناك من يشدة من كمه فالتفت فإذا بصبي يقول له : انني وجدت هذا خلف الصناديق .

وأشار بيده الى بعض صناديق من الورق المقوى وناول سلمون صندوق طعام أخضر اللون .

فحص سلمون الصندوق .... كان سطحه أملس .... من ذلك النوع الذي يحتفظ بأية بصمات . وكانت هناك بقعة من الجبن بالقرب من أحد أركانه ولم يكن بداخله أي شئ .

واكتفى سلمون بأن قال - شكرا لك يا بني .

وتابع طريقه ووضع الصندوق في صندوق السيارة وهو يقول لنفسه أنهم سيرمونه بالغباء إذا عاد واعترف بان صبيا عثر على شئ أخفق هو وباس في العثور عليه . والواقع أنه كان من المحتمل أن الصبي عثر على الصندوق قبل مجيئهما ، ثم انه لم يكن يشعر بأنه جدير بأن يواجه مدير الشرطة من جديد .

وبعد بضع دقائق أقبل باس وجلس على المقعد الأمامي بجواره وقال : يسرني انني تخلصت من ذلك الرجل .... يبدو أنه يميل الى الدعابة .

وزمجر في ازدراء ثم قال: هل تدري ماذا قال بعد انصرافك ؟ انه يريد أن نقدم تقاريرنا اليه شخصيا لكي يتأكد من أننا لن نغفل شيئا .

قال سلمون : حقا ؟

وأطلق المحرك وهو يقول :

ألم يقرأ اللائحة ؟ .... ألا يعرف أننا نعمل تحت ادارة الملازم.

– قال له الملازم ذلك ، ولكن فخامته أجابة بأنه يعرف ذلك وأنه لابد في هذه الحالة أن نلقى القبض على القاتل قبل صباح الغد ، وأن هذا ليس بالأمر العسير نظرا لما نعرفه من معلومات .

سأله سلمون في برود ألم يذكر لك من يجب أن نلقى القبض عليه؟

– تقريبا قال أنه لابد لنا من أن نلقى القبض على القاتل ... وإلا أعادنا الى ادارة المرور .

أجابه سلمون في غضب : لا يمكنه أن يفعل هذا من غير سبب .. هذا ما تنص عليه اللائحة ويمكننا أن نقاضيه بسبب ذلك .

– وستنشر الجرائد صورنا عندئذ ، ولن نجرؤ على الذهاب الى أي مكان بعد ذلك بسبب الدعاية التي سنتعرض لها .

قال سلمون متقززا : هو ذلك ... ماذا نفعل الآن ؟

– سنذهب الى بيت أمالفي وسيبحث الملازم عن اسم الساكن الذي وجد الصندوق في مسكنه وسيطلعنا عليه بمجرد أن يعرفه .

قال سلمون : حسنا .

وانطلق صوب البوليفار ولم يتكلم لا هو ولا باس عن مدير الشرطة بعد ذلك ولكن كلا منهما كان متجهما ومتوترا يتوقع شتى المتاعب .

وكان توني أمالفي يقيم في بيت يقع في طرف المدينة . وأقبلت زوجته وفتحت لهما الباب . كانت جميلة وأسرعت تقول بمجرد أن كشف لها عن شخصيتهما :

– هل أتيتما من أجل توني . انه لم يعد الليلة . وأنا شديدة القلق عليه .

– أين ذهب ؟ .

لم يقل أين ذهب هل وقع له مكروه ؟ ... تكلم !

تبادل باس وسلمون النظر وقال باس : أنه عثر على صندوق صدمه وهو يباشر عمله ، فماذا كان به ؟ .

- لا أدرى . أنه عاد مبكرا على غير عادته ..... عاد فى نحو الساعة الخامسة وقد نضعت له صندوق طعامه ، وبقى بجوار التليفون ، وجاءته مكالمتان .

وأطلقت زفرة ثم قالت : وهو لا يتصل بأحد مبكرا هكذا فى العادة ... ثم أنه لم يسبق أن عاد قبل الساعة السادسة .

- من الذى اتصل به ؟

- لا أعرف .... كنت فى المطبخ

- ومتى خرج ؟ .

- بعد العشاء مباشرة .أخذ صندوق طعامه وقال أنه قد يتأخر ، ولكنه لا يقضى الليل فى الخارج ابدا . أنه ليس من النوع الذى يفعل ذلك ... ولكن ما الذى وقع له ؟

أجاب سلمون فى هدوء : أنه قتل .

وتحول الى باس وقال له : - من الأوفق أن نطلب من احدى الجارات أن تاتى لكى تعنى بها .

وفيما هو يعود الى السيارة تذكر صندوق الطعام وقال : -

- اننى وضعته فى صندوق السيارة سأريك اياه .

القى باس الى الصندوق نظرة شديدة ثم قال :

- هل به شئ ؟ .

كلا اذهب به الى مسز أمالقى وسلها إذا كان هو صندوق زوجها

أخذ سلمون الصندوق ومضى به الى البيت ثم عاد يقول : انه صندوقه .

وملأ بطاقة ثبتها بغطائه . ونظر باس اليه وهو يفعل ذلك ثم صعد الى السيارة وتناول سماعة التليفون لكي يقدم تقريره

وقال له عامل الراديو أن الشقة التي عثر فيها أمالفي على الصندوق كان يستأجرها رجل يدعي لوبيز وأن المالك يقول ان لوبيز هذا اختفى من سنة من غير أن يسدد الايجار وأنه كان يعمل في احدى شركات التليفونات .

وأردف يقول - ويطلب منكما الملازم أن تجمعا كل ما يمكنكما من معلومات عن هذه الشركة .

أجاب باس : حسنا .

هم سلمون بأن يدير المحرك ولكن باس قال له مقطبا

- انتظر لحظة .... هذا المدعو لوبيز ... ريتشارد لوبيز ... ان لدينا ملفا باسمه . . دعني أفكر .

- يمكنك أن تفكر كما تريد بينما أقود السيارة أليس كذلك ؟ .

أجاب باس . سأتذكر بعد دقيقة واحدة . بينما كنت تستجوب أنت زوجة أمالفي قالت لي الجارة أن سيارة وقفت أمام الرصيف المقابل في الليلة الماضية مطفأة الأنوار ... وكان بداخلها رجل يدخن .... كانت تقف بجوار هذه الأشجار .

- أي نوع من السيارات ؟

هز باس كتفيه وقال · ذات لونين ولون صندوقها الخلفي أبيض ... ولها مصباحان كبيران .

وسارا حتى بلغا الأشجار وفحصا الأرض في عناية كبيرة . كانت هناك بقعة من الزيت على الأسفلت . وكانت هناك آثار غير واضحة لبعض العجلات فحصها الرجلان في اهتمام وقال سلمون أخيرا :انها غير واضحة ولا يمكن معرفة طرازها . في أية ساعة انطلقت ؟ .

- فى نحو الساعة الحادية عشرة .... ولكننى لا أرى أثرا لأعقاب السجائر .

قال سلمون فى ايجاز : المنفضة .

ثم عادا الى السيارة وساق سلمون فى عنف وبأسرع من المعتاد ، ونظر باس أمامه وبدأ أنه غارق فى أفكاره ، وقال فجأة :

- ريتشارد لوبيز ... تذكرت الآن .... انهم لم يعثروا عليه على ما أذكر .

قال سلمون : - قدم تقريرك الملازم أذن .

انحنى باس الى الأمام واتصل بالقسم .

واستقبلهما رجل فى شركة التليفونات لم يعرفا أن كان رئيس قسم أو أحد المديرين ، ولم يهتما بذلك .

وكان مهذبا جاءهما بملف لوبيز وقال :

- أنه غادرنا منذ أكثر من سنة .

سأله سلمون : ولماذا ؟

- ليس فى الملف شئ عن ذلك .

- وما الذى ورد فيه ؟ . لا شئ .

قال سلمون : هل استطيع القاء نظرة ؟ .

- أنه سرى . وثب سلمون على قدميه ... وهمومه وغضبه من مدير الشرطة وكل الأحاسيس التى اضطر الى كبتها تغلبت عليه فجأة وصاح :

- اعطنى هذا الملف .. سرى ! ... ليس هناك سر بالنسبة لنا .

قال الرجل : ليس لك أى حق أيها الضابط .

أنتزع سلمون الورقة من يده وقرأ فيها «مرفوت لأمر خطير» .

وأعاد اليه الورقة وهو يقول : ما هو هذا الأمر ؟ (لا أدرى .

اصغ الى يا صاح ..هل تبحث عن متاعب ؟ ستلقى منها الكثير.

تدخل باس وقال : دع الملازم يتكفل بأمره .

لم يوضح سلمون الأمر، ولكنه كان يستطيع المراهنة بأن نفس الفكرة خطرت لباس ... تركيب جهاز من أجهزة التصنت .

وحاولا أن ينسيا مدير الشرطة بقية اليوم ، وقاما بعملهما العادى . لم يقوما بأى استنتاج أو يبديا أية نظرية . كانا يعلمان أنهما إذا صبرا بما فيه الكفاية فسوف يتقدم بعض الشهود ويدلون بمعلومات جديدة .

وكان هناك مخبرون آخرون يجمعون معلومات أخرى سوف يربط الملازم بينها ... الصبر وشئ من الخيال ... هذا كل ماهما بحاجة اليه ، وسيهتم الملازم بالقضية بعد ذلك فهذا شأنه هو وليس شأنهما .

ترك سلمون الصندوق فى المعمل للفحص ثم انصرف مع باس . وزاولا عملهما العادى فى هدوء .

وجاءهما عامل الراديو بعنصر جديد فقد قال لهما أن يمضيا الى أحد تجار الراديو برقم ١٨١٧ بشارع نورث وأن يستجوبا بيت ميلانو لأن أمالفى اتصل به أمس .

وعندما فرغ عامل الراديو من نقل رسالته قال يخاطب باس :

– قل لى ... هل تتغازلان مع مدير الشرطة الآن ! أنه استدعاكما فى التليفون منذ بضع دقائق وقال أنه يريد أن يراكما غدا صباحا فى أول ساعة ، وأردف يقول أنه يحب تناول السمك فى افطاره معرضا باسمه « سلمون » الذى يعنى السمك أو السردين . ورد سلمون عليه فقال محنقا : – اهتم بما يعنيك ،

ضحك عامل الراديو وقال : - أوه ..... لا تغضب .... ألا تعرف المزاح ؟ .

ولكن سلمون ألقى السماعة في عنف ولم يرد عليه .

كان بيت ميلانو في انتظارهما . وكان رجلا قصيرا أسود العينين قال لهما أن ابن أخته أمالفي جاءه في الساعة الثانية والنصف بعد ظهر أمس واستطرد يقول :

- ولم أكن موجودا . وقد ترك لي كلمة يقول فيها أنه سينتظرني في المقهى في آخر الشارع بعض الوقت .

فأنه كان مشغوفا بتناول البيرة . وقال أنه يريد أن يراني لأمر هام.

سأله باس : - وما هو ؟

- لم يقل لي ذلك . وقد عدت بعد قليل واتصلت به . سألني إذا كان يستطيع أن يمر بي لاستخدام أحد أجهزة التسجيل . ولكنني كنت منهمكا في عمل كان لابد لي أن أفرغ منه . ثم أنني كنت على موعد مع خطيبتي في نفس المساء . وحاولت منعه من المجيئ ولكنه أصر على ذلك قائلا أن الأمر بالغ الأهمية وأنه سيأتي بعد العشاء . غير أنه لم يأت .

سأله باس : والام انتظرت ؟ .

- حتى الساعة الثامنة والنصف . ان خطيبتي .....

- لعله جاء بعد انصرافك .

أجابه ميلانو : لو أنه جاء لأقبل الى المقهى ولرأيته لأنني كنت هناك أنا وخطيبتي .

- هل قال لك لماذا كان يريد جهاز التسجيل .... ؟ هل ذكر شيئا بخصوص شريط تسجيل كان يريد سماعه ؟ .

– كلا أيها المفتش ... أنه كان رجلا شهما ولا يمكن أن يتورط فى مسألة احتيال ؟ . (لماذا تقول انها مسألة احتيال .

– حسنا ....

بدا الارتباك والندم على ميلانو لنطقه بهذه الملاحظة وقال متلعثما : أنه قتل .... أليس كذلك ؟ .

وكان باس مشتركا فى تفتيش المحل فعاد وقال فجأة : أنك تقوم بكل أنواع الاصلاحات ، أليس كذلك ..... ؟ .

– كل ماله شأن بالراديو .

قال باس فى غير اهتمام : – مع لوييز ؟ .

ارتسمت الدهشة على ملامح ميلانو وقال : – ومن هو لوييز ؟ .

لم يجب باس ، ونظر الى سلمون ثم خرج . وتبعه سلمون الى العربة وقال : انه لم يقع فى المصيدة ، ولكن من يدرى ؟ والآن ما رأيك فى تناول كأس من البيرة ؟ .

– قال باس : يمكن للبيرة أن تنتظر . سنلتقى بالملازم بعد قليل ، وهو يشم رائحة البيرة على بعد كيلو متر .

قال سلمون : – هذا صحيح .

وكان الملازم ينتظرهما فى مكتبه بقسم البوليس ، فدخلا اليه بمجرد وصولهما وبادرهما قائلا :

– جاءنى تقرير الطبيب الشرعى وتقرير المعمل ، وهناك أمر يجب أن تفكرا فيه لأن مدير الشرطة سيحدثكما عنه طبعا .

ورماهما بنظرة كلها برود وقال : أنهم وجدوا بصمة على الصندوق ، فهل تعرفان بصمة من هى .؟ انها بصمة أحد رجالى.

قال سلمون غاضبا : انهم سكارى ... ان السطح أملس ، ولا يمكن أن تنطبع عليه أى بصمات . هذا مستحيل .

– كان هناك رشاش من الجبن ، وقد وجدوا البصمات عليه .

قال سلمون عجبا مثل هذه الأشياء تقع على كل حال أيها الملازم .

أجاب الملازم فى حدة : – ولكنها لا يجب أن تقع خصوصا ومدير الشرطة مهتم بكما .

قال باس : – كان فى مقدور رجال المعمل التغاضى عنها .

سعل الملازم وقال : – حسنا . لندرس القضية الآن .... انهم وجدوا بعض شظايا الخشب فى رأس أمالفى ، ويمكننا أن نستنتج من ذلك أنه قتل بهراوة . والمعمل يقول ان الشظايا لخشب صلب أسمر اللون ، وقد قتل فى نحو الحادية عشرة أو فى منتصف الليل على الأكثر . والآن ... هل عثرتما على شئ ؟ .

واصغى الى تقريرهما فى اهتمام . وراح يضرب بقدمه على المكتب . الأمر الذى أزعج سلمون الا أن باس بدا كأن هذا الصوت يطربه وقال : هل هناك أية أنباء عن لوبيز ؟ .

هز الملازم رأسه وقال أنه اختفى تماما ولم يترك وراءه أى أثر .

قال سلمون : – لعله غادر المدينة .

قال الملازم : بل لعله غادر الولاية كلها ... والدنيا بأسرها .... مهما يكن من أمر فإن القضية بدأت تتشكل ... هناك مسألة التصنت التى وقعت فى العام الماضى .

ولم يكن بحاجة الى تزويدهما بأية معلومات فى هذه الناحية لأنه هو الذى تولى التحقيق فى تلك القضية بالذات ، وقد كشف

ساعتها عن عدد من رجال البوليس المرتشين الذين كشفت عنهم أجهزة التصنت المذكورة . وقد أعقب ذلك عملية تطهير كانت سببا فى ترقية الملازم الى رتبته الحالية . وقال وقد استغرقة التفكير :

- لا أتذكر أننى سمعت اسم لوبيز عندئذ . ولكن لعله واحد من الفنيين الذين نصبوا جهاز التصنت .

وقد قامت شركة التليفونات بالتحقيق من ناحيتها وطردت بعض الموظفين ، وأراهن أن المدعو لوبيز كان من بينهم .

قال سلمون : - هذا ما حسبناه .

- لنفرض أن لوبيز حصل على شريط تسجيل يدين شخصا ما ، وأنه رأى نفسه بحاجة الى نقود بعد أن طردته الشركة فحاول أن يبتز مبلغا من ذلك الشخص وأنه بدلا من أن يحصل على ما يريد لقى حتفه ....

قال باس : - بقى الشريط فى مسكنه وظل فى مخبئه بالمدفأة حتى عثر تونى عليه .

استطرد الملازم يقول :هو ذلك .... وقد اتصل تونى بالشخص الذى قتل لوبيز وحاول أن يهدده بدوره . هذا هو الدافع الى الجريمة . ومن رأيى أن القاتل استرد الشريط وأعدمه .

قال سلمون : - ولكن كيف عرف تونى شخصية القاتل ؟ . أنه لم يستمع الى الشريط لأنه لم يتمكن من لقاء ابن اخته .

قال باس : - هذا ما يدعيه ابن الأخت .

تدخل الملازم قائلا : كفى افتراضات .... اننا نعرف أن تونى جاءته مكالمتان أمس ، احداهما من ابن اخته والأخرى من شخص

كان يعرف أنه عاد الى مسكنه مبكرا عن العادة ولعله كان يعرف أنه هو الذى وجد الشريط ... فمن الذى تتوفر فيه هذه الشروط ؟.

قال سلمون : أنها تتوفر فى كل زملائه ، ولكننى لا أرى كيف يتورطون فى مثل هذه العملية ... انهم ليسوا بأكثر من بنائين .

قال الملازم : - اظن أننا توصلنا الى كل شئ .... دونلان ... احضراه الى .

نهض سلمون على الفور لكى يطيع ولكن باس قال : بخصوص تقرير المعمل .... هل يمكن أن يعرف اذا كانت الشظايا الخشبية قد نتجت من مضرب بيزبول .

قال الملازم : - ربما . لماذا ؟ .

- كان مع دونلان مضرب من هذا النوع ، وكان يستخدمه للتحقق من صلابة الألواح ... هل تريد أن نبحث عنه ؟ .

اجابة الملازم : - كلا . سأكلف شخصا آخر بذلك . من الأوفق أن تمضيا لتناول الطعام ومهما يكن فأننى أريد الاستعلام عن المدعو دونلان قبل أن تأتيانى به .

وتناول سماعة التليفون ، وكان منهمكا فى الحديث عندما غادر سلمون وباس المكتب .

كان البيت أجمل بقليل من المتوقع . وفتح لهما دونلان بنفسه وقال لهما بصوته الأجش :

- أن زوجتى فى فلوريدا .... وأنا هنا وحدى .... يسرنى أن أراكما ... ماذا تريدان ؟ .

قال باس : يريد الملازم أن يراك (لماذا ؟ .

أجابة سلمون : سيخبرك بذلك بنفسه .

- انتظرا . لم العجلة ؟ اجلسا نثرثر ونحن نتناول كأسا .

صاح باس : - لا تبحث عن المتاعب .

احتج دونلان قائلا : - ان لى الحق فى أن أعرف .

لم يجبه أى من الرجلين ولكنهما تقدما نحوه فى وقت واحد ، كل من ناحية وقد تأهبا للنضال . كان كل منهما يعرف ما سيفعله الآخر تماما .

فقد تقدم باس خطوتين ودس يده تحت جاكتته ، على أتم إستعداد لاخراج مسدسه فى حين تقدم سلمون خطوة وأمسك بدونلان من ذراعه قائلا : تعال .. لا تقاوم .

وقبل أن يمضيا به فتح باس باب الجاراج ورأى سيارة من لونين لها صندوق أبيض وجناحان كبيران . وأغلق الباب وعندما لحق بسلمون غمز له بعينيه .

وما أن عادوا إلى القسم حتى بدأت الجلسة .. الاستجواب والتناوب والانهيار شيئا فشيئا ، ففى الساعة الثامنة قال دونلان إنه بقى وحده فى بيته لمشاهدة التليفزيون وإنه لم يتصل بتونى تليفونيا أو يحاول أن يعرف ماذا وجد ، ولم يستطع تعليل إختفاء مضرب البيزبول من مكتبه وقال أن بعضهم لابد قد سرقه لتوريطه وإتهامه بجريمة القتل .

وفى الساعة التاسعة أفلح الملازم فى توريطه فى قضية جهاز التصنت التى وقعت فى العام الماضى فقد إعترف دونلان فى غموض بأنه أعطى نقوداً لشخص ما لكى يتستر عليه فى كشف مرتبات وعمولة زائفة .

وفى الساعة العاشرة فقد دونلان رأسه وبدأ يعترف .. نعم ..

أنه تحدث مع تونى ويعرف أن هذا الأخير عثر على شريط تسجيل وأدرك أنه وضع يده على شىء هام وأراد أن ينتهز الفرصة فاتصل به تليفونيا بعد الظهر . ووعده تونى أن يأتيه بشريط التسجيل ولكنه لم يف بوعده نعم ان السيارة التى كانت تنتظر هى سيارته .. اعترف بأنه حاول أن يلتقى بتونى ولكنه .أصر على أنه لم يقابله وأنه لم يره أبداً ولم يتحدث اليه بعد ذلك . وادعى أنه انتظر من الساعة الثامنة حتى الحادية عشر وإنه عدل أخيرا عن الانتظار وعاد إلى بيته . ولم يستطع الملازم أن يحصل منه على المزيد بعد ذلك .

واذ رأى الملازم ذلك مضى الى مكتبه وبرفقته باس وسلمون لتبادل الحديث على فنجان من القهوة .وكان التعب قد أخذ منهم كل مأخذ ،وفقدوا كل أمل وقال الملازم : أنه وقع ولكنه مازال يقاوم.

وأزاح المستندات التى فوق مكتبة لكى يفسح مكانا لفنجان القهوة وقال : وحتى اذا أثبت المعمل أن تونى قتل بواسطة مضرب بيزبول فلا يمكننا أن نثبت أن ذلك المضرب ملك لدونلان وأن هذا الأخير هو الذى قتله . اننا بحاجة الآن الى فكرة نيرة .

أخذ سلمون يقلب الأوراق . انه لم يكن محظوظا حقا فقد تورط وأصبح فى موقف لا يحسده عليه أحد مع مدير الشرطة . لقد شاء حظه العاثر أن يضع ابهامه على المكان الوحيد من الصندوق الذى يمكن أن تنطبع عليه بصمته . ولكن لديه الآن فكرة إلا أنه لم يكن واثقا من أنه سيجد الجرأة لكى يجهر بها . بيد أن الحدس والتخمين لا جدوى منهما إذا أنت لم تحاول الجهر بهما .

قال فى بطء وفى حذر : من الغريب اننى أصدق قصة دونلان.

قال باس : - ماذا ...... ؟ ولماذا ؟ أجاب سلمون وهو لا يزال يتكلم فى حذر كما لو كان يبحث عن شئ غير ملموس :

- لأنه يدعى أنه غادر مكانه أمام بيت تونى فى الساعة الحادية عشرة وهذا الادعاء وحده يضعه فى موضع الشبهة ..... اذا كان مذنبا فلماذا لا يقول أنه بقى أمام البيت حتى الساعة الواحدة أو الثانية .... ؟ ان قوله هذا يبعده عن الشبهة .

سأله الملازم وهو يرشف قهوته : - ماذا تقصد ؟ هل تريد أن تقول أن القاتل هو ابن الأخت ؟ .

خفض سلمون عينيه الى الأوراق وراح يقلبها فى عصبية . كانت الورقة الأولى هى تقرير المعمل عن بصمة الابهام التى عثروا عليها فوق الجبن . وقرأ العبارة الوجيزة التى تضمنها التقرير ، وما كاد يفعل حتى ركض قلبه بين ضلوعه وقد أدرك كل شئ .... عرف الحقيقة الآن وأدرك أن شكوكه صحيحة .

قال : كلا . انما أريد أن اتحدث عنا نحن .... أنا وباس ,... أننا كنا نعرف أن تونى وجد شريطا .

قال الملازم : استمر .

واستطرد سلمون : انك كشفت النقاب عن عدد من رجال البوليس المرتشين فى مسألة التصنت ، ولكن يبدو أنك أغفلت واحدا منهم ... هو الذى قتل لويز وتونى أمالفى ...

قال الملازم : - تكلم .

- لقد حاول بعضهم أن يلقى التهمة على دونلان ... وهذا البعض كان يعرف أن دونلان يملك مضرب بيزبول فاستخدمه فى قتل تونى أمالفى . وعنى أنا فقد كنت مدعوا فى الليلة الماضية عند أصدقاء يحتفلون بعيد ميلاد أحدهم ، وهناك عشرات يمكن

أن يشـهدوا بأنني بقيت هناك طوال الحفلة . ولكن أنت يا باس ، أين كنت ..... ؟ .

قال باس : – هل جننت .... ؟ أي دليل لديك .... ؟

– انني وجدت بصمة حذائك في الزقاق .... هذا هو الدليل .

– ولكنني فسرت لك ذلك .

– ولكنني رحت أفكر ..... ثم جاءت مسألة بصمة الابهام . كنت أظن أنها بصمتي أنا ولكن التقرير يقول أنها بصمتك أنت . ومنذ اللحظة التي أعطاني فيها الصبي ذلك الصندوق لم تلمسه أنت . ثم أنني عندما أخذت الصندوق كان الجبن قد جف وما كان في الاستطاعة أن ينطبع عليه ابهامك عندئذ ، وقد تساقط الجبن ذرورا عندما لمسناه فوق الحائط . ولكن عندما أخرجت صناديق القمامة في الزقاق في منتصف الليل كان الجبن لا يزال طريا ، وليس هناك أي شك في هذا .... في تلك اللحظة أخرجت شريط التسجيل من صندوق توني بعد أن قتلته .

فتح باس فمه محاولا الانكار ....

وأحس سلمون بالارتياح والسرور .... وراح يتساءل من سيكون زميله الجديد .... وابتهل الى الله أن يكون اسمه عاديا حتى لا يجد زملاؤه الفرصة لكي يتلاعبوا معهما بالألفاظ .

☆★☆

الزهور الأفريقية

يقال أن أفريقيا أكثر القارات سحرا فهل يمكن أن يكون هذا السحر نابعا من زهرات البنفسج الأفريقية .

أشترت النبتة الصغيرة لأنها ذكرتها بالربيع وكانت مسز كريج فى ذلك الوقت فى شهر يناير وكان من المهم أن تتذكر الربيع.

قالت تسأل بائع الزهور الظريف : ما أسم هذه الزهرة ؟

ولم تكن مسز كريج قد أشتغلت بالفلاحة قبل ذلك فقد كان هنرى هو الذى يهتم بالزهور . وكانت تشعر بشئ من الأحترام نحو أولئك الذين يعرفون كيف يبذرون الحب ويرعونه حتى ينمو .

وأجاب البائع : هذه زهرة بنفسج أفريقية يا سيدتى . أن لدينا تشكيلة جميلة منها .

وأشار إلى مجموعة من الزهور الخضراء والأرجوانية وقد وضعت ورقة بجوار أخرى وزهرة فوق منضدة طويلة منخفضة وقال : « كل الالوان التى يمكن أن تتصوريها تقريبا » .

مدت مسز كريج اصبعا يكسوه القفاز ولمست أوراق النبتة الخضراء فوق المنضدة وقالت : هذه وردية اللون ، وقد أحببت هذا اللون دائما .

وكانت الأوراق الشديدة الأخضرار تبرز من خلال الأصيص على أغصان أشبه بالكاوتشوك . كانت من الخارج ذات منظر

مخملى كما لو كان الغصن يحمل أكماما من الكاشمير تبدو فى نفس الوقت نصف شفافة بدت لمسز كريج كما لو كانت معطفا سميكا يقى قلبا رقيقا . كانت الزهور الوردية الجميلة الصغيرة تقف مستقيمة تتمايل مع النسمة عندما فتح بعضهم الباب وقالت:

- هل تحتاج إلى عناية كبيرة ؟

أبتسم البائع الشاب ، ورأت مسز كريج أنه شاب رقيق ومهذب جدا وقال : أبدا . أنها بحاجة إلى الضوء طبعا ولكن ليس كثيرا . أن الأصيص موضوع فى طبق كما ترين ويكفى أن تضعى الماء فى هذا الطبق لكى تسقى الزرع من أسفل . ومن الأفضل أن يكون الماء فاترا . ويجب أن تسقيه مرة كل ثلاثة أو أربعة أيام عندما يجف الطبق وأن تضيفى أليها كل نحو ستة أسابيع شيئا من هذا ..

وأخرج من خلف خزانة النقود زجاجة بها سائل أزرق غامق عليها بطاقة بها هذه الكلمات : « سماد خاص بزهور البنفسج الأفريقية » .

وأشترت مسز كريج النبته وعادت إلى بيتها .

وتذكرت وهى تفتح الباب أنه ليس بيتها هو ذلك البيت الذى باعوه أثناء أقامتها فى المستشفى ، فقد قالت لها أبنتها أفلين « أن هذا البيت الكبير يثقل عليك يا أمى ، سنجد لك شقة صغيرة ظريفة لا تتطلب منك أى مجهود » .

ووضعت البنفسجة الأفريقية على حافة المنضدة فى حوض ثم خلعت قفازها . كان يجب أن تعترف بأن الشقة صغيرة وجميلة . كان حيادها المسالم يتفق مع كل الأنواق فقد كانت جدرانها ذات لون بيج باهت ومفروشاتها خضراء باهته وستائرها وسقفها

وأرضياتها كلها باهته . وقد أحست مسز كريج فى الأيام الأخيرة بأن هذه الغرف الصغيرة تتضاءل تدريجيا فى حياد تام وتطويها معها فى حيادها .

ولكن هذه النبتة الآن .. هذه النبتة القوية والتى تبدو هشة على الرغم من قوتها .. أضافت لمسة جديدة الى تلك الألوان الرتيبة .

قالت مسز كريج تخاطب الزهرة : أنك جميلة جدا ، وأرجو أن تطيب لك الأقامة هنا .

ومضت إلى المطبخ . كان كل ما فيه أصفر اللون كان كاصفرار صفار البيض الفاسد . وكانت تفضل المطابخ البيضاء. المطابخ الكبيرة البيضاء بلمسات من اللون الأحمر الفاتح والأخضر التي تذكرها بمطبخها القديم . وفتحت الصنبور فجأة وملأت البراد بالماء وهى تقول لنفسها فى عزم وثبات بأن ما أنقضى قد أنقضى وأن الحسرة لا تفيد .

وأعدت لنفسها كوبا من الشاى وأخذته إلى الصالون وراحت تشربه وهى جالسة أمام أناء زهرة البنفسج .

وكان اليوم التالى يوم أحد ، وفى ذلك اليوم أقبلت أفلين وجون ومعهما الأولاد . ووجدت مسز كريج أن أسرتها ترهقها . كانوا كبار جدا ، حتى الأولاد كانوا أكبر من سنهم .. حتى أيفلين كانت طويلة القامة نحيلة العود تتقد نشاطا وحيوية . كانوا يتكلمون كثيرا ويضحكون بصوت مرتفع. وكان الأولاد يصرخون فى فترات متساوية بطريقة لم تسمع مسز كريج أولاد يصرخون بها أبدا .

وسألتها أبنتها قائلة : هل قضيت أسبوعا طيبا يا أمى ؟

وكانت أفلين جميلة حقا . وطالما سمعت أمها وغيرها يقولون عنها ذلك . ونظرت مسز كريج إليها ولم تسمع سؤالها تقريبا ، لانها كانت تنظر إليها مليا وإلى جمالها الصارخ .

كـانت أفلين قـد أنجـبت ثلاثة أطفـال (جـون وفـريدريكا وانطوانيت » . ومع ذلك فقد بقيت رشيقة كالعهد بها دائما . كان شعرها الكستانى متموجا ولامعا وهى فى الثالثة والثلاثين كما لو كانت فى العشرين . وكان وجهها منبسطا ليست به أية غضون وعيناها سوداوين متألقتين .. نعم ، كانت أفلين جميلة يطيب المرء أن ينعم بالنظر إليها وأن يتأمل جمالها .

وعادت أفلين تقول : قلت .. هل قضيت أسبوعا طيبا يا أمى؟

وكانت قد تكلمت بصوت مرتفع وقالت مسز كريج تحدث نفسها « كأنها تظن أننى صماء . »

بحـثت مسـز كريج فى ذهنهـا عن بعض النقـاط التى يطيب لأفلين أن تصـغى إليها فقالت لها أنها تناولت الغداء يوم الثلاثاء مع ميللى كروكيت . ثم توقفت فى وسط الكلام فجأة وألقت نظرة قلقة على الأولاد الذين تشـابكوا بطريقـة خطرة على مـقـربة من المنضدة التى وضعت فوقها البنفسجة الأفريقية وقالت فى نفسها يجب أن أجد لها مكانها آخر أفضل .

وقالت أفلين : حسن جدا .. وأين تغديتما ؟

وصاح جون ترنت : كفى أيها الأولاد .

كان جون ترنت رياضيا مشهورا عندما كان فى الكلية وبدا عملاقا ضخما عندما وقف لتخليص المتعاركين وقال : كفوا عن اللعب . أنكم تزعجون جدتكم وتثيرون أعصابها .

ونهضت أفلين هى الأخرى وقالت : أنهم أصبحوا لا يحتملون . وأظن أن من الأوفق أن نعود بهم إلى البيت .

وأخذت يد أمها وقالت : هل أنت واثقة أنك على ما يرام ؟

أبتسمت مسز كريج وقالت : طبعا .

عبس الوجه الجميل :لا أدرى يا جون .أرى انها شاحبة جدا .

أنحنى ظهر مسز كريج على هذه الأخيرة بقامتة الطويلة ونظر إليها مليا ثم قال : أنك على ما يرام ، إليس كذلك ؟

وألقى سؤاله دون أن ينتظر جوابا وقال : أنما هى عواقب العملية يا أيفي .

وأجفلت مسز كريج كما تفعل كل مرة يدعو فيها صهره أبنتها بأسم « أيفي » كما كانت تجفل عندما تسمعه يدعو أولاده بجاك وفريدى وتونى ، فقد كانت تحب الأسماء الجميلة .

وأستطرد جون يقول : كانت عملية كبيرة يا حبيبتى . ولابد من وقت طويل لكي تستعيد كل قواها .

أبتسمت أفلين وقد أطمأنت وقالت : طبعا بضعة شهور من الراحة وتعودين أمرأة جديدة يا أمى .

ثم أنهمك الجميع بعد ذلك فى أرتداء معاطفهم وقفازاتهم وأحذيتهم . وبعد أن رحلوا بوقت طويل وخمدت كل الأصداء تحققت مسز كريج أن أحدا منهم لم يلحظ بنفسجتها الأفريقية .

وفى هذه الليلة أعطتها أسما ، فأسمتها تمارا .

وفى وقت مبكر من صباح الأثنين أشترت مسز كريج زهرتين أخريين واحدة بيضاء وأخرى ذات لون غامق كلون اللاوند . وأسمت البيضاء باسم بلانش والزرقاء باسم ليلوم . كان لابد لها من بعض الوقت لكى تهتدى إلى الأسماء المناسبة وقضت بعد ذلك بقية اليوم فى تنسيقها وأعادة تنسيقها ثم جلست لكى تستمتع بجمالها .

أترون ؟ .. بنفسجات أفريقية .

عندما عرفت أنها ستقيم فى الشقة وحدها أرادت أن تأخذ معها حيوانا أليفا ، فبعد أن باعوا بيتها ونقلوا منقولاتها إلى مخزن المنقولات (صراحة يا أمى ، ليس هناك جدوى من نقلها إلى الشقة فهى كبيرة الحجم وثقيلة وستزدحم بها الشقة) أحسست بحاجتها إلى رفيق يؤنسها . لو أن أبنزز كان لا يزال على قيد الحياة .. كان أبنزز قطا تعهدة هنرى منذ ولاته ولكنهم أضطروا إلى التخلص منه عندما مرضت مسز كريج لأنها لم

تستطع أن تعنى به . ومازالت تحس بالحزن والألم كلما فكرت فيه ، وهى لا تريد أن تفكر فيه لهذا السبب ، بل أنها لم تشأ « الأعتراف بأن الألم ما زال موجودا .

ومع ذلك فقد طرقت الموضوع أمام أفلين وقالت فى خجل « كلب صغير أوقطة .. » وكانت تعرف أن أفلين لا تحب الحيوانات.

ورفعت أفلين حاجبيها العريضين وقالت : ولكنك لا تستطيعين يا أمي . أنك تعرفين كيف تتعلقين بالحيوانات . ثم أن مثل هذه الشقق المفروشة لن تقبل مثل هذا الأمر .

سألتها مسز كريج فى اكتئاب : ولا حتى عصفور كناريا .

تقدم جون خطوة نحو فراش المريضة وبسط يدا مواسية وقال : أسمعي يا أماه .. أنك تعرفين أن العصافير كغيرها من الحيوانات تحتاج إلى عناية كبيرة . أننا أخترنا لك شقة بها نظام الخدمة الخاصة لأننا لا نريدك أن تبذلى أى جهد .

وأردفت أفلين تقول : أن الأنسان يتعلق بالحيوانات الاليفة بسهولة ونريد أن تكونى حرة طليقة .

وأتت بأشارة من يدها وهى تكرر قائلة : حرة طليقة كالهواء .

ولكن مسز كريج كانت مسرورة الآن ، فهى لن تحتاج إلى أى حيوان أليف أو إلى أى عصفور فقد وجدت شيئا أفضل بكثير .. بنفسجاتها الأفريقية .

وفى يوم الثلاثاء بدا لها أن تمارا قد كبرت شيئا ما ، ولكن بلانش بدت ، على العكس أقل شجاعة منها وبدت أوراقها ذابلة متعبة . ولكنها لم تكن واثقة من ذلك . وفحصت عمق الماء فى الأناء وقررت أنها بحاجة إلى قليل من السماد وحدثت نفسها بأنها ربما تأثرت من صدمة ما . فقد نقلت من بيتها ، (وهو ليس بيتا كبيرا بستائر بيضاء ولكنه بيت بائع الزهور » إلى هذه الشقة .

وقرأت التعليمات الإيضاحية بعناية كبيرة وأعدت الخليط ووضعته في الأناء .

وكانت عند الظهر، عندما تسلط الشمس أشعتها الحامية من النوافذ، تسدل الستائر بعناية ثم تعودفترفعها ثانية في الساعة الثالثة عندما تتحرك الشمس بعيدا في السماء ، كانت النوافذ مقامة في شبة خليج صغير وتطل على منطقة صغيرة مغلقة تعتبر فناء البيت وفي الشتاء تنمو في هذا الفناء بعض النباتات الخضراء الهزيلة تبدو كما لو كانت مغروزة في الثلج . كان كل شئ في ذلك البيت دميما .. دميما جدا فيما عدا زهور البنفسج .

وفي يوم الأربعاء أشترت دولوريس وأندريا . كانت دولوريس أفتح قليلا من ليليوم ، أما أندريا فكانت أعمق قليلا من تمارا . وفي ذلك اليوم كان يجب أن تتناول الغذاء مع فيرا هوجارت ، وأتصلت مسز كريج بها تليفونيا وألغت الموعد محتجة بصداع ، والحقيقة أنها لم تجرؤ على الخروج فقد كان يتعين عليها أن تخرج في الساعة الحادية عشرة ، ولما كانت تعرف ميل فيرا للثرثرة والتردد على المتاجر للفرجة والشراء فقد تحققت أنها لن تعود قبل الساعة الخامسة وأنها لن تستطيع أن ترفع الستائر وتزود زهورها بالظل من الساعة الحادية عشر حتى الخامسة ، وأن زهورها ستحرم عندئذ من ضوء الشمس . ومن ناحية أخرى ، كانت لا تستطيع أن تترك الستائر مرفوعة طوال هذه الفترة فأن بائع الزهور الظريف قال لها أنها تحتاج إلى شمس معتدلة في الظهر ، لهذا السبب أتصلت بفيرا هوجارت وألغت موعدها معها .

وأعدت لنفسها طبقا من العجة وأتت به إلى الصالون قائلة : أفريقيا .. هل تأتين من هناك ؟.. لا شك في ذلك والا ما أطلقوا عليك هذا الأسم حدثيني ، كيف هي أفريقيا ؟ .. أنني لم أذهب إليها أبدا .

وبقيت جالسة فى الظل تاركة عجتها تبرد وراحت تصغى إلى قصص الأدغال المثيرة والغابات العذراء والحيوانات:حمير الوحش البيضاء والسوداء والأسود المفترسة والأفيال السمراء والثعابين و..
وفجأة دق جرس التليفون : أماه .. هل أنت بخير ؟
– نعم يا أفلين .. أننى بخير .
– ولكن مسز هوجارت أتصلت بى .. وكانت مضطربة ..
وتغير صوت أفلين قليلا وهى تقول : والواقع أننى أستطيع أن أقول لك أنها عنفتنى .
قالت مسز كريج : عنفتك ؟ .. ولأى سبب ؟
– أوه .. أنك تعرفين مسز هوجارت ، فهى تظن دائما أنها على حق . وعلى حد قولها أكون أنا أبنة جاحدة جدا فأنها تقول أننى أسكنتك فى هذه الشقة وتركتك وحدك .
وتهدج صوت أبنتها وهى تقول : أنك على ما يرام ، أليس كذلك ؟ ألست سعيدة فى هذه الشقة ؟
وأجابت مسز كريج فى تأكيد : طبعا .. أنا سعيدة .
وأستطاعت أن تسمع تنهيدة الأرتياح التى أطلقتها أبنتها .
وقالت هذه الأخيرة : صراحة يا أمى ، لا يمكن أن تعرفى إلى أى حد يزعجنى هذا الأمر . كنا نريدك أن تكونى هنا طبعا .
ولكن البيت صغيرا جدا ثم أنه ليس به أى مكان يمكن أن يكون يمعزل عن الأخر .
وأمسكت لحظة ثم عادت تقول : وقد خطر لى أنا وجون أنك لن تعرفى الهدوء مع الأولاد ، خاصة وأن الطبيب ..
وترددت ثم قالت وهى تختار كلماتها : وقد قال الطبيب أن العملية قد تتسبب فى رد فعل نفسانى فأن أستئصال الرحم ليس بالعملية اليسيرة و ..
قاطعتها مسز كريج قائلة : أفلين .. – نعم يا أمى .

والغريب أن أفلين بدت عندئذ كأفلين الصغيرة ذات الضفائر الطويلة والأم تعدادات الأعمدة .

وأعادت مسز كريج السماعة بمجرد أن أستطاعت ولكنها وجدت زهور البنفسج في شبه عتمة ولم تستطع أن تعود إلى أفريقيا .. ليس على الفور على الأقل .

وبدلا من ذلك عادت القهقرى عندما كانت أفلين صغيرة ، وعندما كان مستر كريج .. هنرى العزيز لا يزال على قيد الحياة ، وعندما كانا معا في ذلك البيت الكبير .. سقوفه العالية ونوافذه الكبيرة العريضة .. ما كان أسعدهم عندئذ ، .. لقد مرت السنون ثم .. ومن غير أن ندرى تزوجت أفلين وذهب هنرى ولم يبق لها الا العودة إلى الوراء ، العودة إلى الوراء .. ماضي ذي تعود إلى الوراء مرة أخرى في حين أن الطبيب أوصاها بأن تنظر إلى الأمام .. أنه قال : أصنعي لنفسك حياة جديدة

حسنا .. أنها قالت لاصدقائها أنها تصنع لنفسها حياة جديدة الآن طبقا لنصيحة الطبيب ولكنهم لم يتوقعوا هذه الحياة .. لم يتوقعوا أن تذهب مسز كريج إلى أفريقيا .

وفي يومي الخميس والجمعة قامت ببعض المشتريات . أشترت حاملا خاصا لكي تضع فوقه أزهارها .. حامل به رفوف زجاجية تمنع تسرب الماء وأشترت كذلك فيرجينا وهيلين والواز وجلوريانا ومليزاندا . وكانت تود أن تشترى غيرها ولكن البائع الظريف فتح عينيها على دنيا أخرى بأن قال : لا أريد أن أتدخل فيما لا يعنيني ولكن أرى أنك تميلين كثيرا للبنفسجيات الأفريقية ، وأنني أتساءل أذا كنت لا تعرفين أنها تتكاثر بسهولة .

– وكيف هذا ؟ – أن البنفسجيات الأفريقية لا تتزاوج وأنما تتوالد من تلقاء نفسها . أعنى أنك أذا زرعت ورقة منها في الأرض التي تناسبها أعطتك بنفسجة أفريقية أخرى .

أنبسطت أسارير مسز كريج ونظرت إلى جلوريانا .. وكانت قد أعطتها الأسم وقالت : – أتعنى أننى أستطيع أن أجعلها تنمو ؟

نعم يا سيدتى. بل تستطيعين أن تزرعى غابة منها أذا أردت.

وأخرج الشاب كيسا من البلاستيك به تراب ويضع أوان بها ثقوب فى القاع وكيس من الحصى وأراها كيف تعالج الورقة وكيف تضع بعض الحصى فى الأناء لتصريف المياه وكيف تسوى التربة .

وفى مساء السبت أخذت مسز كريج ورقة من كل زهرة من صديقاتها .. أو بالأحرى من أولادها .

وتملكها التعب والارتباك ... من الجائز إنها أجهدت نفسها أكثر من اللزم .

ولكنها فرغت الآن وسرها ما فعلت .. يالهذا الصف من الاولاد الصغيرة ، .. ما أروعها حين تكبر وتزدهر وتنجب أولادا هى الأخرى وتظل تنجب هكذا دواليك بينما تجلس مسز كريج وتنظر اليها ... ولكنها لا تستطيع أن تنظر اليها فحسب لأن هناك شيئا أكثر أهمية ... لأنها بحاجة اليها ... لكى تطعمها وترويها وتبقيها على قيد الحياة .

كان قد مر وقت طويل لم يشعر أى أحد بحاجته اليها ... لم يشعر أى أحد بحاجته اليها منذ موت هنرى ثم جاء ت العملية .. تلك العملية الفظيعة التى جعلت منها قوقعة فارغة لأمرأة ليس منها فائدة أو أى جدوى . ما كان أحمقها حقا ؟ لايجب أن تشعر بأى أسف أو أن تتحسر على نفسها ... ومهما يكن فلم يكن ذلك حقيقيا .

فرجينيا ؟ ... نعم ... فرجينيا ودولوريس يشيران اليها ويهمسان ... ولكنها كانت متعبة جدا ... متعبة بحيث رأت أن تأخذ

سنة من النوم وهى جالسة هكذا فى مقعدها ، وغدا صباحا سوف تصحو نشطة ومستعدة للسفر .

الأهرام وابو الهول والزرافات والنعام ... ومناجم الماس ... نعم ، مناجم الماس الذى يتألق تحت ضوء الشمس .

وصلصل جرس التليفون فأعادها إلى الواقع ... لم تفهم فى بادىء الأمر .. اين هى ؟

وفى أى يوم هى ؟ (كانت الشمس ساطعة) . كم الساعة ... ولكن ما الأهمية . ولكن جرس التليفون راح يصلصل فى اصرار بحيث أعتذرت لنفسها ونهضت لكى ترد عليه .

– ماما ... انك تأخرت فى الرد كثيرا ... اننا قادمون لزيارتك كما نفعل كل يوم أحد .

نظرت مسز كريج إلى فوهة السماعة المظلمة وقالت : – قادمون لزيارة من ؟ ماما (.. جون .. ان امرها غريب جدا ... ماما .. انت التى تتكلمين طبعا .. أليس كذلك ؟ ... كأنك بعيدة جدا ... أنا اقلين يا أمى . ان جون والأولاد معى .

فقالت مسز كريج فى مرح : – لاريب انك اخطأت الرقم . اننى مسافرة اليوم . سأذهب فى رحلة إلى افريقيا مع مجموعة كبيرة .. أولادى واصدقائى ... أرجو أن تجدى أمك .

وقبل أن تعود إلى هؤلاء الذين ينتظرونها فى فروغ صبر حرصت على أن توصد الباب ، ولم تعبأ برنين التليفون الذى راح يصلصل وجلست على عتبة النافذة بجوارها وبدا أن الثلج راح يذوب تحت عينيها وراحت تنظر إلى اتساع الخضرة .. خضرة لاحد لها ... وإلى فتيات قبائل الباسوتو السمروات محاربين من قبائل الزولو الطوال القامة وإلى قبائل من الأقزام ومن البالويا عراض الأجسام وإلى النيل والصحراء والأدغال والأرض والسماء

والماء . ومضت إلى كل هؤلاء في رفق وانضمت اليهم وتعمقت معهم إلى حيث يرشدونها في أعماق الخضرة .

قالت ابنة مسز كريج في صوت ينم عن الخوف : أقول لك أن أمي ليست بخير . يجب أن تدعنا ندخل مسكنها .

فطب وكيل البيت حاجبيه وبحث عن مفاتيحه . كان يشرف على البيت منذ وقت طويل . وكان كله عبارة عن مساكن مفروشة . وكان يتصف بالذكاء ويعرف كيف يقدر مستاجريه المحتملين . وما أن رأى مسز كريج حتى عرف على الفور أنها تختلف عن مستأجرى الشقة رقم ٣ ب وأنه لن يجد معها أية مشاكل ولكن ها هى الآن أما أن تكون قد وقعت فريسة لمرض أو أن يكون قد حدث لها شئ .. وتنهد من أعماقه وتقدمهم إلى المصعد . وتبعته أبنة مسز كريج وزوجها وأولادهما الثلاثة .

وطرق الوكيل باب الشقة . طرقها فى رفق فى البداية ثم فى صوت أقوى وأكثر أصرارا .

وقالت الأبنة فى حدة : هل تسمع شيئا ؟

وقال زوجها : أفتح الباب . وكان صوته لا ينم عن الأنفعال وأستطرد : لا تقلقى يا أيفى . لا ريب أنها نائمة .

وعادت الأبنة تقول : هل تسمع شيئا ؟ وأزداد صوتها أرتفاعا . ودس الوكيل المفتاح فى الباب . وأنفتح الباب قليلا فقد أحتجزته سلسة الأمان ولم تسمح لهم بأن يروا من الداخل أكثر من بوصتين من السجاد والجدران .

وقالت الطفلة الصغيرة : أين جدتى يا أمى ؟ .. أين جدتى ؟

وشدها أكبر الولدين من شعرها على الفور قائلا:

أسكتى يا تونى .

ودفعه الولد الصغير جانبا وهو يقول : دع أختى وشأنها .

وقالت أفلين وقد تغير لونها حتى أصبح بلون الرماد : جون .. هناك شئ مخيف .

أرتد زوجها خطوة إلى الوراء ثم أندفع نحو الباب وقال الوكيل : مهلك . أذا حطمت السلسلة فستكسر الباب . من الذى يدفع ؟

وقال الزوج ردا على سؤال الوكيل : سندفع نحن . وأندفع نحو الباب. وسمعا تمزق الخشب ولم يلبث أن أنفتح الباب .

- أمي . كانت الغرفة شاغرة . وتبادلت الأبنة وزوجها النظر وقال هذا الأخير : « أنتظرى هنا » ثم أسرع نحو المطبخ . وتشبثت الأم بكتفى أبنها الأكبر ونادت الطفلين الآخرين إليها فى صوت خافت.

خرج الزوج من المطبخ تاركا الباب ينصفق خلفه ولم ينظر إليهم بل أسرع إلى غرفة الحمام . أما الوكيل فراح ينظر حوله فى غير أهتمام وقد سره أن يجد الشقة نظيفة .

وظهر ترنت وكان وجهه جامدا لا ينم عن شئ وتقدمت زوجته خطوة قائلة : هل هى ؟ ..

وأتى بأشارة مبهمة يائسة من يده فصاحت : أوه .. كلا ..

وراحت تنتحب كالطفلة فأسرع جون ترنت يقول : كلا أنها ليست أعنى أنها ليست هنا .

أستدار الوكيل لمواجهته . وكفت مسز ترنت عن البكاء ونظرت إليه وقد فغرت فاها كما لو كانت تحاول أن تكبت صرخة لا تريد أن تنطلق .

وقال الوكيل: ليست هنا ؟ ولكن سلسلة الأمان كانت موضوعة .

وكررت الأبنة تقول كرجع الصدى : ليست هنا ؟

وبكت الطفلة بدورها فامتصت ببكائها أنفعالات أبويها وقالت : أين جدتى ؟

وأنضم الولد الصغير إليها وراح يبكى بدوره ، وقالت أبنة كريج : هذا مستحيل .

ومشت نحو المطبخ قائلة : لا ريب أنها وقعت فى مكان ما .. أو لعلها محبوسة فى مكان ما .. أبحث فى الدواليب وسلم الحريق .

ومضى كل منهم إلى ناحية مختلفة وهم يصرخون وراحوا يفتشون فيفتحون الأبواب ويغلقونها .

وقف الوكيل وحده ومفاتيحه تتأرجح في يده . كان الجوّ حارا في الغرفة. بل شديد الحر وعجب لذلك مع أنّ الستائر كانت مسدلة كانت الحرارة تكاد تكون أشبه بحرارة المناطق الأستوائية .

وكل هذه النباتات .. المتجمعة كلها تقريبا فى نوافذ الخليج .. ما أسمها ؟ .. أوه ، نعم بنفسجات أفريقية .. لم ير مثل هذا العدد من قبل ولم ير زهورا بهذا الحجم أبدا .. أوراق كبيرة خضراء .. بزهور وردية وبيضاء وأرجوانية تتحرك على أغصانها كما لو كانت ترتعش .. لا ريب أنها ترتعش بسبب تيار هوائى . نعم ، هو ذلك ومع ذلك .. فقد كانت كثيرة جد حتى لتكاد تبدو كما لو كانت غابة .

وأقترب منها . وتحقق فجأة . أن النافذة الوسطى كانت مفتوحة .. مفتوحة على مصراعيها على الرغم من الستار المسدل . ومع ذلك فقد كان الجو حارا جدا .. وأقترب وهو يدفع عن ذهنه موجة مفاجئة من الخوف .

وسمع الصوت وهو يقترب فأثار حيرته ودهشته . وخطر له قبل أن يفهم أن أحد الأولاد قد أصدر هذا الصوت .. فان شاغلى الشقة رقم ٣ ، وهى تقع تحت شقة مسز كريج مباشرة فتحوا التليفزيون من جديد .. مع أنه نبههم إلى ذلك أكثر من مرة . ولسبب غريب تذكر دائما بعد ذلك أنه سمع فى وضوح تام صوت أهالى أفريقيا السوداء ، وذلك قبل أن ينظر من النافذة .

☆★☆

القاهرة الحديثة للطباعة

أحمد بهى الدين الخربوطلى

٣ ش الجد بالفجالة

تليفون : ٩٣٤٣١٠

مجموعة هتشكوك

ترجمة / محمد عبد المنعم جلال

- مسرح العرائس
- الميت الحى
- السفاح
- ذو الوجهين
- المقبرة
- الإنتحار
- اليوم المشئوم
- الباقوتة
- رصاصة فى الظلام
- اليد المقطوعة

اسكندرية - ٤ ش سعد زغلول - ت : ٨١٠٨٢٨
القاهرة - ٤٢ ب ش رمسيس ت : ٧٤٣٦١١

السعر : ٢٠٠ قرش